بسم الله الرحمن الرحيم

# الاتجاهات الحضارية فى العصر العباسى

# وأثرهـا فى الشعـــر

## « الحلقة الثانية »

الأستاذ الدكتـور

عبد الله حسين على سليمان

## الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى القرنين الثانى والثالث وأثرها فى الشعر

المقصود بالحياة الاجتماعية ذكر طبقات المجتمع من حيث الجنس والدين وعلاقة هذه الطبقات بعضها ببعض وبحث نظام الأسرة وحياة الأفراد وطرائق حياتهم ووسائل عيشهم ونواحى جدهم ولهوهم وطبقاتهم الاجتماعية ووصف قصور الخلفاء ومجالسهم ومظاهر الأبهة والنعيم وحياتهم الخاصة والعامة وأنواع الملابس والطعام والشراب والأثاث إلى غير ذلك .

أما الحياة الاقتصادية فالمقصود بها بحث موارد الدولة الزراعية والصناعية والتجارية وغيرها من الشئون الاقتصادية والنظم المالية وتوزيع الثروات على الأفراد والموازنة بين الموارد والمصارف وجباية الأموال عن طريق الجزية والخراج والزكاة والفئ والغنيمة والعشور وأثر ذلك كله فى حياة الفرد والجماعة وفى نظام الدولة . والأوضاع الاجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظم الاقتصادية واتجاهاتها المختلفة وخطوطها البيلة .

وقد استوعبت الدولة العباسية أجناساً متعددة تكون أمماً مختلفة فهناك العرب والفرس والروم والترك والمغاربة وغيرهم وكان من أجزاء هذه الدولة العباسية الجزيرة العربية والعراق وفارس وما وراء النهر ومصر والشام والمغرب ولكل أمة عاداتها وتقاليدها وتجاربها وخبراتها ومناهج تفكيرها وقدراتها العقلية واتجاهاتها الثقافية وعواطفها وميولها وأهواؤها .

وقد انصهرت هذه الأمم فى بوتقة الإسلام وذابت فى كيان الدولة الواحدة والعقيدة المسيطرة والنظام المهيمن فكان من ذلك كله دولة عباسية عريقة أصيلة

ذات حضارة متميزة وثقافة خاصة تنحدر من ثقافات متعددة ومنهج فكرى فريد هو وليد تيارات فكرية متفاوتة وكيان عجيب هو خلاصة من كيانات عديدة تبلورت فيه ، وتركزت كل خصائصها وملامحها فى أعطافه ونواحيه . لقد أظل الإسلام بتعاليمه كل الأمم الإسلامية على اختلاف أنواعها من آريين وساميين وحاميين يخضعون لسلطانه ويجرون على أحكامه فتقلصت الفوارق وحلت محلها وحدة إسلامية جامعة شاملة ودخل الإسلام حياة الناس العامة فى السياسة والإدارة والتشريع والعادات والتقاليد فى البيت وفى الشارع فى القضاء والمعاملات وفى كل مجال .[1]

وإذا كان هذا هو المظهر الذى يعمل من أجله الخلفاء وتبدو به الأقاليم فإن الصراع بين هذه الأجناس والأمم كان رهيبا حقا فقد قامت المنافسة بين العرب والفرس ثم دخل الترك منافسين فى هذا الصراع بل كان الصراع عنيفا بين العرب أنفسهم فقد اشتعلت نيران العصبية بين عرب الشمال المضريين وعرب الجنوب اليمنيين وقد كان هذا الصراع هو السلاح الحاد الذى شهره خلفاء بنى العباس فى وجه الجميع [2] حتى تهيأت لهم أسباب الحكم ووسائل السيطرة فانسلك الجميع فى عقدهم واجتمعوا تحت راية بنى العباس إن طوعا وإن كرها والويل لمن يخرج على الطاعة أو يحاول أن يفرق الجماعة .

ومن طبقات الشعب فى ذلك العصر العباسى أهل الذمة وهم النصارى واليهود وقد كانت طبيعة الدين الإسلامى بمروءته وتسامحه فضلا عن الحاجة الملحة إلى الحياة المشتركة مدعاة إلى التعايش فى وفاق بين المسلمين وأهل الذمة

(١) ضحى الإسلام جـ ١ ص٣٩٢ .
(٢) الطبرى جـ٩ ص٢٨١ ص٢٨٢

فهم يمارسون حقوقهم الدينية ويقيمون الشعائر فى حرية وأمن وقد يظهر منهم ما ينبئ عن عصبية أو قد يتعرضون فى بعض الأوقات لشئ من الضيق والعنت ولكن يبقى فى النهاية أنهم جزء من الكيان لا ينبغى أن ينشق عن الجماعة أو يخرج على الدولة مهما كانت الظروف والأسباب .

والتسامح أساس فى الإسلام وليس كما يدعيه صاحب تاريخ التمدن الإسلامى من أن هذا التسامح وليد حاجة ملحة إلى خبرة أهل الذمة وعلمهم بالحساب والكتابة وشئون الخراج [1] ، فليس كل أهل الذمة بهذا العلم وعلى هذه الخبرة وكان من الممكن أن يكرم من يحتاج إليه ويذهب الباقين منهم إلى الجحيم . ولم يحدث هذا – وإن كان قد حدث تضييق على النصارى فى بعض العهود فقد كان ذلك نتيجة لظروف وأحوال سياسية اعترف بها صاحب تاريخ التمدن الإسلامى نفسه [2] ، ومنها أن بعضهم كان لأعداء الدولة الإسلامية عينا وعونا . وحقيقة فقد كان هذا التعايش الإسلامى مع أهل الديانات السماوية الأخرى آية من آيات التحضر والتسامح الإسلامى الرشيد ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [3] .

وكان الرقيق يكونون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع الإسلامى فى العصر العباسى وقد كانت قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء مأوى لرقيق من أمم متعددة مختلفة اللهجات والطباع والعادات . وكان كثير من الخلفاء العباسيين من أمهات

(١) تاريخ التمدن الإسلامى جـ٤ ص١٢٩ . جورجى زيدان .
(٢) المرجع السابق ص١٣٢ ص١٣٣ .
(٣) آية ٦٤ من سورة آل عمران .

أولاد فكانت أم المأمون أمة فارسية ، وأم المعتصم تركية وأم المتوكل خوارزمية وأم المقتدر رومية [١] . قال الجاحظ « ليس من خلفاء بن العباس من أبناء الحرائر إلا ثلاثة السفاح والمنصور والأمين والباقون كلهم من أبناء الجوارى » [٢] وقيل أيضا إن المنصور أمه بربرية [٣] كذلك ما كانت البيوت غالبا تخلو من رقيق من الأجناس المختلفة وقد اتجه العباسيون إلى تعليم الجوارى اتجاها قويا وأكثر عنايتهم بتعليمهن الغناء وانتشر المغنون والمغنيات فى القصور والمحال العامة والبيوت وكان تأثير الجوارى قويا فعالا فى الجميع بل كانت قيمتهن تزداد بقدر ما يجدن من فنون الغناء وحذق الأدب ورواية الشعر يقول المسعودى :

« إذ كانت الجارية كثيرا ما تعلم أدبا وتعلم فنا وخاصة الغناء وكان هذا التعلم يغلى قيمتها أضعاف ثمنها فقد عرضت جارية بثلثمائة دينار فلما علمها إبراهيم بن المهدى الغناء عرض فى ثمنها ثلاثة آلاف دينار » .[٤]

ولقد كان للجوارى أثر عظيم فى نشر العادات والتقاليد وترقية الذوق الفنى وحب الجمال لدى جماهير الناس وعامتهم ، كما كان لهن أيضا أثر كبير فى نشر الخلاعة والمجون وحياة اللهو وقد ازداد إقبال الناس على الجوارى والإماء لما فيهن من ظرف وجمال وأنوثة وقلة احتشام وخبرة وتجربة وبصر بمعاملة الرجال وإلمام باللغات ولما فيهن من الرقة والضعف والاستسلام الذى يسبى الرجال ويأسر الفتيان وهن السبيات الأسيرات يقول الجاحظ فى حديثه عن محاسن الجوارى ...

---

(١) النظم الإسلامية لحسن إبراهيم ص٣٧٠ .
(٢) المحاسن والأضداد ص٢٥٣ ، ص٢٥٤ .
(٣) تاريخ التمدن الإسلامى جـ٤ ص١٦٤
(٤) مروج الذهب جـ٢ ص٣٠٩ .

قيل : كان يقال من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالإماء دون الحرائر وكان مسلمة بن مسلمة يقول .. عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج المهائر ؟! ، [1] وقد ارتفعت النقيصة عن الجوارى حين أنجبن خير رجال وخيرة علماء وصفوة أبطال ، وفى ذلك يقول زيد بن على بن الحسين حين عيره هشام بن عبد الملك بأنه ابن أمة ، يا أمير المؤمنين إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا وجعله للعرب أبا فأخرج من صلبه خير البشر محمدا ، .[2]

وقد أدى ذلك إلى ازدياد نفوذ النساء فى الدولة وبخاصة فى القصور ودواوين الحكم وكان نفوذ نساء القصور فى الدولة العباسية عظيما وهو من قبيل نفوذ الموالى فى هذه الدولة لأن أكثر النساء من غير العرب [3] . وكان العباسيون يصغون إلى النساء وبذلك أحرزت المرأة نفوذاً كبيرا وخصوصاً أمهات الخلفاء . ونذكر منهن ، الخيرزان ، أم الهادى والرشيد وهى أمة حرشية كانت صاحبة الأمر والنهى فى عهد زوجها المهدى وكانت ذات نفوذ وقوة يخافها أولادها ، وكان لأم المقتدر – وهى تركية – نفوذ وسطوة على ابنها ورجال دولته وكان الوزراء يهابونها ويرتعدون خوفا من ذكرها [4] . وأم المستعين بالله كانت أمة صقلبية وكانت يدها مطلقة فى أمور الدولة .[5]

هكذا كان للجوارى شأن كبير . وهذا لا يمنع أن يكون هناك بعض الحرائر

(١) المحاسن والأضداد ص٢٥٣ وما بعدها .
(٢) مروج الذهب ح٢ ص١٣٠ .
(٣) التمدن الإسلامى جـ٤ ص١٧٨ .
(٤) تاريخ الوزراء ص٦٧ .
(٥) ابن الأثير جـ٧ ص٤٧ .

من نساء ذلك العصر كن على جانب عظيم من الحكمة والتدبير وقوة الشخصية نذكر منهن السيدة زبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين وكانت غاية فى الأدب والشعر والثقافة والسياسة [١] . وعموما فقد بلغت المرأة فى العصر العباسى مبلغا عظيما من الثقافة ورقى الفكر وبراعة المناظرة وحسن المحاورة والظرف والفكاهة وحلاوة الحديث مع علم ودراية وخبرة واتصال بالحضارة [٢] . ومن الرقيق طائفة الخدم والغلمان والعبيد الذين تكاثرت أعدادهم وتعاظم نفوذهم فى العصر العباسى وازداد تأثيرهم وهيمنتهم على الأمور وسيطرتهم حتى على الخلفاء بعد أن كانت مهمتهم تنحصر فى الخدمة وامتهان الحرفة وحماية المنازل وحراستها .

لقد كان الغلمان فرقا تعرف بأسماء خاصة وهذه الفرق خاصة بالخليفة أو الأمير وكثيرا ما تستبد هذه الفرق بالخليفة أو الأمير حتى تغلبه على أمره وحينئذ يلجأ الخليفة إلى ضرب هذه الفرق بعضها ببعض .[٣]

كذلك كان فى دور الخلفاء صنف من الخدم والخصيان يغلب استخدامهم فى دور النساء وكانوا يستكثرون منهم أيضا وأكثرهم من السود . ولئن كان هؤلاء يتعرضون للهزء والسخرية من جموع الناس إلا أن بعضا منهم كانوا يرتقون فى الدولة إلى مصاف الأمراء والقادة .

لقد اهتمت الدولة العباسية بمناصرة الموالى وبخاصة الفرس حتى أصبح لهم شأن عظيم فى الدولة وصارت إليهم المناصب الرفيعة والقيادة والإمارة وتواصى الخلفاء العباسيون بمواليهم خيرا فالمنصور كان يقدم مواليه على العرب

(١) حضارة الإسلام فى دار السلام . جميل نخلة ص٩٥ .
(٢) تاريخ الإسلام جـ٢ ص٣٣٢ وما بعدها .
(٣) ابن الأثير جـ٨ ص١٢٦ .

واقتدى به الخلفاء من بعده . ومن أقواله فى وصيته لابنه المهدى « وانظر إلى مواليك فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مادتك لشدتك إن نزلت بك وأوصيك بأهل خراسان فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم فى دولتك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن سيئهم وتكافئهم عما كان منهم وتخلف من مات منهم فى أهله وولده »[1] وقد عمل المهدى بالوصية فكان يقدم الموالى فى مجالس الشورى والرأى .[2] وهكذا ارتفعت مكانة الموالى فكانوا بطانة الخليفة ورجال دولته وكان منهم الوزراء والقواد والعمال والكتاب والحجاب وقد اشتهرت بعض الأسر بالوزارة أو الولاية كآل برمك وآل وهب وآ سهل وآل طاهر .

وسواء كان النفوذ للفرس أو للأتراك من بعدهم فقد ظلت الأوضاع كما هى بالنسبة لمكانة الموالى أيا كانت أجناسهم نفوذا وسلطانا وقوة واقتدارا .

وقد كان ذلك غريبا على العرب فى بادئ الأمر ولعله سبب ضيقا وأسى فى نفوسهم لكنهم تعودوا ذلك من خلفائهم العباسيين وأخذوا أنفسهم به .

ومما لاشك فيه أنه كان لهؤلاء الموالى آثار خطيرة بعيدة المدى فى السياسة والاجتماع والاقتصاد وفى العلوم والفنون ونظم الحكم والإدارة .

وقد أثر هذا الوضع على مكانة العرب فى الدولة العباسية فظلوا فى صراع تارة مع الموالى من الفرس وتارة مع الموالى من الأتراك ، وكانت الضربة الأولى التى تلقاها النفوذ العربى تتمثل فى قتل الخليفة محمد الأمين وقيام دولة المأمون

(١) ابن الأثير جـ٢ ص٧ .
(٢) العقد الفريد جـ١ ص٥٣ .

الذى كان يتعصب للفرس إذ كانت أمه فارسية وقد نشأ فى كنف ورعاية البرامكة الفرس .

وكانت الضربة الثانية على عهد المعتصم الذى أمر بإقصاء العرب عن الدواوين وشئون الدولة [1] . وانتهى به المطاف إلى أن يستعين أيضا بالأتراك وغيرهم مع الفرس فكان فى ذلك فتح لباب صراع رهيب انتهى بضياع الخلافة ونفوذ الخلفاء كما ظهر ذلك بوضوح فى خلافة المتوكل ومصرعه على أيدى حراسه وخدمه من الأتراك .

وقد أدى ازدياد نفوذ الموالى وضعف النفوذ العربى فى الدولة العباسية إلى ظهور الحركة الشعوبية بصوت مسموع وتظاهرها بالعداء ضد العرب والانتقاص من أقدارهم وذمهم فى عاداتهم وتقاليدهم وتصرفاتهم ولغاتهم بل وتجاوز الشعوبيون ذلك كله إلى الغمز فى الدين محاولين استعادة مفاخرهم الماضية .

وهذه الدعوة وإن بدأت خافتة معتمدة على روح المساواة التى جاء بها الإسلام إلا أنها تمادت فى غيها والرد على القائلين بتفضيلهم ودخلوا فى محاورات ومناظرات حاقدة وعنيفة ضد كل من تصدى للدفاع عن العرب .

ومن أبرز مظاهر الحضارة والمدنية تنوع المسالك واختلاف الاتجاهات وتعدد أساليب الحياة والتفنن فى متعها والإقبال على ملاذها والتأنق فى وسائل العيش فيها من قصور وبدائع دور وحدائق فيحاء ورياض غناء وأبهاء ومقاصر وشرفات وستائر وحلى وثياب وعطور وأدوات زينة وآلات طرب والحفلات الباهرة والليالى الساهرة وما كان فيها من غناء وطرب وفن معجب ورقص مثير .

---

(١) المقريزى جـ١ ص٣١١ ، ص٣١٣ – ابن خلدون جـ١ ص١٣٠ .

كانت الحضارة والمدنية العباسية مرتبطة بالتقدم العظيم فى مجالات العلم والثقافة والفكر ، ومرتبطة بالامتزاج بين العناصر والأجناس وكان كل شئ بحق يرتبط بالتفنن : التفنن فى الحياة وأسلوبها وفى الطعام والشراب والمسكن والثياب ووسائل الترف واللهو ... تفنن وإبداع وتجديد فى كل شئ . وقد روى أن شاعراً بدويا من شعراء العهد العباسى يدعى « ناهض بن ثومة » شهد حفلة عرس فى حلب فدار عقله واختبل فكره مما رأى مما لا عهد له به فى البادية .[1]

ولقد كان للثراء والفراغ أثر كبير فى هذه الحياة اللاهية وبخاصة لدى الطبقات العليا . وخير دليل على ذلك أنه فى حال بناء الدولة العباسية ومجابهة الأخطار والصعاب كان جانب الجد هو الجانب الغالب فأبو العباس السفاح كان يؤثر الجد والعلم على ضروب اللهو وكان يقول « إنما العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا »[2] وكانت حياته حياة سفك لدماء الخصوم والقضاء على المعارضين . وأبو جعفر المنصور قد قيل عنه .. لم ير فى دار المنصور لهو قط ولا شئ يشبه اللهو واللعب والعبث » .[3]

وحين استقرت الأمور وقويت أركان الدولة وعظم اقتصادها وازدهرت مواردها وكثر الفراغ فيها كان التفنن فى اللهو والعبث وكان التنافس على متع الحياة والناس على دين ملوكهم .

لقد كانت مجالس الخلفاء العباسيين تزدان بمظاهر البدخ والروعة والترف ،

---

(١) الأغانى جـ ١٢ ص٣٦ .
(٢) مروج الذهب جـ ٢ ص١٧٠ .
(٣) الطبرى جـ٩ ص٢٩٤ .

فالخليفة يتخذ مكانه فى صدر الإيوان فى قصره وبين يديه صفوة الحراس فى أثواب زاهية ومن حوله كبار رجال الدولة والأعيان عن يمينه ويساره .[١]

وقد أخذ العباسيون نظام مجالسهم عن الفرس . كما أخذوا عنهم التنجيم والاعتقاد بأقوال المنجمين . وازدهرت مجالس الغناء والموسيقى فى عهد هارون الرشيد ونبغ كثير من المغنين والموسيقيين وكانت لهم درجات وطبقات .[٢] ونذكر من بين المشاهير منهم : إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق وإسماعيل أبو القاسم المعروف بابن جامع ومنصور زلزل ومسكين المدنى المعروف بأبى صدقة وبرصوم الزامر . ويذكر صاحب مختصر تاريخ العرب أ الأميرات وسيدات الطبقة الراقية يشتركن فى حفلات موسيقية خاصة .[٣]

وقد نما الرقص نموا عظيما وأفرد له المسعودى فصلا خاصا فى مروج الذهب .[٤] كما كثرت الملاهى وتعددت الأندية ومن هذه الأندية : نادى ابن رامين وكان يختلف إليه ابن المقفع ومعن بن زائدة ومحمد بن الأشعث وروح بن حاتم الباهلى .[٥] ونادى القراطيسى ومن روداه : أبو نواس وأبو العتاهية وصريع الغوانى مسلم بن الوليد . ومن مظاهر الترف والبذخ ما كان يجرى فى احتفالات القوم وأعيادهم وأفراحهم ، فكانت المدن فى ليالى العيد تسطع فى أرجائها الأنوار وتتجاوب فى أنحائها أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير ، وكانت مواكب الخلفاء العباسيين الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم .[٦] وكان من أثر ميل العباسيين إلى

---

(١) مختصر تاريخ العرب لسيد أمير على ترجمة رياض رأفت ص٣٨٧ .
(٢) التاج فى أخلاق الملوك الجاحظ ص٣٧ ، ٣٨ .
(٣) سيد أمير على ص٣٩١ ، ص٣٩٢ .
(٤) مروج الذهب جـ٨ ص١٠٠ .
(٥) الأغانى جـ١٢ ص١٢٦ .
(٦) تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص٣٣٥ .

الفرس أن احتفلوا بأعيادهم وخاصة بالنيروز والمهرجان والرام وكانت من أهم الأعياد الرسمية فى العصر العباسى الأول .(١)

وكانت حفلات الزواج مثالا للترف والنعيم والبذخ ومما يروى فى ذلك أن الخليفة المهدى عند زواج ابنه هارون الرشيد بالسيدة زبيدة أقام وليمة لم يسبق إليها أحد فى الإسلام ووهب للناس فى هذا اليوم أوانى الذهب مملوءة بالفضة وأوانى الفضة مملوءة بالذهب والمسك والعنبر ولم تقدر العروس على المشى من كثرة ما عليها من الحلى والجواهر .(٢)

ولم تكن حياة العباسيين جامدة قاتمة بل كانت حياة وضاءة ومتلالئة تموج بالنشاط والحيوية وتزدهر بألوان الترف وأنواع التسلية : ففى المنازل كانوا يتلهون بلعبة « الشطرنج » التى أدخلها الرشيد . وفى أواخر القرن الثالث الهجرى ظهر فى قصر المعتضد العباسى نوع من الشطرنج يسمى « الجوارحية » تعمل فيه كل حاسة من حواس الإنسان فى تنافس مع غيرها من الحواس .(٣) وكان النرد من الألعاب التى اعتاد الناس أن يتلهوا بها فى العصر العباسى الأول .(٤) ومن أنواع التسلية فى ذلك العصر الرمى بالنشاب والصيد بالبنادق ولعبة « الجوكان » و« الصولجان » و« الجريد » وقد لعبوا بالديوك والكلاب .(٥) وكان سباق الخيل من أهم وسائل التسلية لدى الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة .(٦) ويذكر صاحب تاريخ الإسلام

(١) الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى ص٢١٦ .
(٢) حضارة الإسلام فى دار السلام لجميل نخلة المدور ص٩٤ وص٩٥ .
(٣) الحضارة الإسلامية لآدم متيز جـ٢ ص٢١٣ ، ص٢١٤ .
(٤) المسعودى جـ٢ ص٤٥٦ .
(٥) الأغانى جـ٦ ص٧٥
(٦) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص٢٠٧ ومروج الذهب جـ٢ ص٢٧٩

السياسى أن من أنواع التسلية فى العصر العباسى الأول لعبة الكريكيت والتنس ويسمونها لعبة القراح ويذكر أن النساء كن يمارسن الرمى بالسهام كما كن يشتركن فى حفلات الرقص .[1] لقد كانت الحياة العباسية حياة رفاهية وتأنق وتفنن وإبداع فى كل شئ يمس حياة الإنسان فى جدها ولهوها وعلى سبيل المثال نقرأ ما أورده النواجى فى حلية الكميت مما يشترط فى النديم والساقى ليتأكد لك ما نقرره من أبعاد هذه الحياة المترفة الزاخرة بمظاهر الحسن والجمال والتأنق والإبداع ....

يقول النواجى : يشترط فى النديم أن يكون حسن البزة نبيل الهمة نظيف الكف نقى الظفر متعاهدا لتقليمه وتخليل أصابعه وغسل يديه ومعصميه وتسريح لحيته عطر البشرة نظيف الوجه والشارب والأنف نقى الجبين مستعملا للسواك نظيف الثياب خصوصا عمامته لأن العين كثيرا ما تقع عليها مسبول الذيول وأطراف الأكمام نظيف المخفى من الملبس كالقلنسوة والسراويل والتكة والخف والمنديل والكم متطيبا بالبخور والغالية والروائح على الشعر والثياب ... ،[2] ويشترط فى الساقى أن يكون بديع الجمال زائدا فى الظرف والدلال ومن دأبه أن يستأذن جلساءه وندماءه فى المزج وعدمه فان منهم من لا تناسبه الراح صرفا ومنهم من يختار الممزوج قليلا ومنهم من يختار الممزوج كثيرا فإن كان الساقى عارفا بأخلاق الجماعة عامل كلا منهم بما يلائم طباعه من غير سؤال ،[3] كما أورد ابن الجوزى فى أخبار الظراف والمتماجنين أن الظرف يكون فى صباحة

(١) حسن ابراهيم جـ٢ ص٣٤٣ .
(٢) حلية الكميت للنواجى ص٢٥ .
(٣) نفسه ص١٤٥ .

الوجه ورشاقة القد ونظافة الجسم والثوب وبلاغة اللسان وعذوبة المنطق وطيب الرائحة والتقزز من الأقذار ويكون فى خفة الحركة وقوة الذهن وملاحة الفكاهة والمزاح ... [١] .

ولقد ارتبط ذلك كله بالازدهار الاقتصادى فى العصر العباسى فلقد امتلأت خزائن الدولة بالأموال ونهضت شئون الزراعة والصناعة والتجارة وتعددت مصادر الأموال وتنوعت . وحين اتسعت رقعة الدولة شمالا وجنوبا شرقا وغربا كانت الأرزاق تتوالى على بغداد العاصمة ، وكانت خزائن العباسيين تفيض بالأموال واهتم خلفاؤهم بالخراج اهتماما عظيما وتواترت الأقوال حول أرقام هائلة من الدراهم والدنانير كانت ترد على بيت المال .[٢] ويروى صاحب صبح الأعشى أن الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر إلى السحابة المارة ويقول « اذهبى حيث شئت يأتنى خراجك » .[٣] ولم يكن ذلك الرخاء والازدهار محض صدفة فلقد وجه الخلفاء العباسيون فى هذه الفترة كل عناية إلى الشئون الزراعية والصناعية والتجارية واهتموا بوضع قواعد ثابتة لأنواع الخراج بحسب نوع المحصول وجودة الأرض .[٤] ولقد كان نتيجة لهذا الازدهار فى المجالات الزراعية والصناعية والتجارية أن ازدهرت الحياة العامة وارتقى المجتمع العربى وشاعت الرفاهية وألوان النعم وفنون اللهو وعظمت الهبات والعطايا والمنح وأصبح العراق قمة فى بهجة الحياة وطيب العيش ومستقر الترف والنعيم .

---

(١) أخبار الظراف والمتماجنين ص١٢ .

(٢) صبح الأعشى للقلقشندى جـ٢ ص٢٧٠ ، الوزراء والكتاب ص٢٨١ - ص٢٨٨ .

(٣) القلقشندى جـ٣ ص٢٧٠ .

(٤) النظم الإسلامية لحسن إبراهيم ص٢٨٩ .

على أن الأموال لم تكن موزعة توزيعا عادلا بحيث تتقارب الطبقات وتتلاقى فى حدود معقولة بل كان هناك الكثير ممن ضاقت بهم الحياة وضاقوا هم بالحياة فاحتملوا الفقر والبؤس لكن كانت مظاهر الترف والنعيم من حولهم فوق كل احتمال فكرهوا هذه الحياة اللاهية التى ترفل فى حلل النعيم والترف واتجهوا إلى حياة الزهد والورع والانقطاع إلى الله والاجتهاد فى التقرب إليه والسعى لمرضاته برفع شعار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى وصل فى بعض مراحله إلى ثورة مسلحة ضد من خالف كتاب الله وسنة رسوله سلطانا كان أو غير سلطان .

ويحدثنا الطبرى عن زعيمين من زعماء هذه الحركة هما : خالد الدريوش ، وسهل بن سلامة الأنصارى .[1]

ويعلل ابن خلدون لهذه الحركة بتوافر أهل الدين والصلاح على منع الفساد وكف عاديتهم .[2] نعم لقد قامت جماعات مؤمنة غاضبة ثائرة تكافح الشك فى الدين والانحراف فى العقيدة والانحلال والمجون فى المجتمع وتدعو إلى التمسك بالإسلام والاعتصام بحبله والالتزام بمبادئه وقيمه وسلوكه .

ونتيجة لهذه الأوضاع الاجتماعية المتناقضة كانت البلاد مسرحا لكثير من المذاهب والنحل ومجالا لدعاية الجماعات السرية وأصحاب المذاهب الذين كانوا يمزجون الأغراض الاجتماعية بالمبادئ الدينية [3] . وليس عجيبا أن تضل الأفهام وتتحير العقول وتختل الموازين وتضطرب الأمور .... .

---

(١) الطبرى جـ١٠ ص٢٤١ ، ٢٤٨ .

(٢) المقدمة ص١٣٤ .

(٣) الحياة الأدبية فى العصر العباسى لخفاجى ص١٨ .

لقد كانت الحياة فى العصر العباسى مشحونة بأسباب الصراع وتيارات الفتنة حياة تتصارع فيها الأجناس المتعددة والعادات المتأصلة والتقاليد المختلفة والثقافات المتنوعة ... حياة يسودها الترف والنعيم واللهو والمجون والغناء والرقص والإبداع والتفنن فى كل شئ : فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والتسلية والترفيه ووسائل الزينة والتجميل ... ففى مختصر تاريخ العرب :

« كانت قصور الخلافة تتألق بالجواهر البراقة وعلى النوافذ والأبواب ستور مزركشة وحرابر مشجرة ... وتتدلى من السقف الثريات الفخمة المطعمة بالجواهر » .[١] وقد أكلوا فى صحاف الذهب والفضة وخلطوا طعامهم بماء الورد والكافور .[٢] وكانوا يشربون فى الكئوس التى تكثر عليها النقوش والزخارف والتصاوير ، أما الملابس والأزياء فقد بلغوا فيها حدا بعيدا من الأناقة إذ كانوا يلبسون الثياب المصبغة التى تحكى ألوانها ألوان الزهر .[٣] وكان الوشى والتطريز عليها غاية فى الإبداع . وكانت المرأة تزين رأسها بحلية مسطحة من الذهب وتلف حولها عصابة منضدة باللؤلؤ والزمرد .[٤] وتجعل شعر صدغها على صورة حرف النون أو العقرب ، أما فن صبغ الشفاه والخدود فقد أبدعت فيه النساء إذ أخذنه عن الفارسيات اللائى كن يستعملنه منذ أقدم العصور كما يرى صاحب مختصر تاريخ العرب .[٥] وإن كنت أرى أن المرأة العربية من قديم كانت بارعة فى وسائل الزينة والتجميل واستخدام الألوان والأصباغ والخضاب كما كانت

(١) مختصر تاريخ العرب للسيد أمير على ترجمة رياض رأفت ص٣٨٥ .
(٢) الحضارة الإسلامية لآدم متيز ترجمة أبى ريدة جـ٢ ص٢٠١ .
(٣) أغانى سأسى جـ١٢ ص٣٤ .
(٤) مختصر تاريخ العرب ص٣٨٩ .
(٥) المرجع السابق .

متفننة فى تمشيط الشعر وتصفيفه بطرق متعددة قد تصل إلى أبدع ما وصل إليه فن التجميل الحديث . وقد تمثلت فى بغداد حاضرة الخلافة العباسية وكعبتها مظاهر الحضارة والمدنية والعمران والازدهار وحياة الترف والنعيم [1] ، وكانت بغداد بحق بهجة الدنيا وفتنتها بها تتعلق الأنظار وإليها تهفو القلوب وفى رحابها ينطلق طلاب العلوم وهواة الفنون وعشاق الجمال وعلى أفنانها تغرد بلابل الشعر وتشدو جموع الشعراء بألحان عبقرية تملأ سمع الدنيا على مر الأجيال والعصور .

ولم تكن هذه الحياة لهوا كلها ولا غنى وترفا بأسرها بل كان فيها اللهو وفيها الجد ، فيها الغنى وفيها الفقر ، فيها البؤس والشقاء وفيها النعيم والهناء فيها العلم والمعرفة وفيها الجهالة والخرافة فيها الإيمان الصادق واليقين الراسخ وفيها الإلحاد والزندقة فيها طلاب الدنيا وعبيد الشهوات وفيها الزهاد والنساك فيها من أقبل على الحياة بعين عمياء وأذن صماء وقلب مظلم وفيها من أوتى حظا من بصيرة مدركة وضمير حى ونفس خيرة وفؤاد ينبض بالإيمان ويزهو باليقين . كان فيها المخلصون الأوفياء كما كان فيها المنافقون الوصوليون ، وكانت هناك مع ذلك كله أمم شتى وأجناس متعددة تنضوى كلها تحت لواء الدولة الواحدة بما تمثله من خصائص وسمات وثقافات وحضارات وآراء ومعتقدات وميول واتجاهات ... .

وكان الأدب خير معبر عن هذه الحياة الشاملة فى العصر العباسى : فشاع وازدهر أدب اللهو والمجون والخلاعة والترف وكان للشعر القدح المعلى فى وصف مجالس الخمر والغناء والرقص والتشبيب بالنساء والتغزل فى الغلمان ، وعظم تيار الغزل الصريح الذى لا يدارى ولا يتعفف وإنما يعمد إلى الإثارة وفاحش القول

(١) بغداد فى عهد الخلافة العباسية ترجمة بشير يوسف ص٥٩ .

وداعر الأساليب من مثل قول بشار فى أبيات له بعث بها إلى امرأة يهواها وكانت تتأبى عليه وتهزأ به وتتساءل لأى شئ تطلب وصال مثلى ؟ فكان رد بشار عليها :(١)

..... له فضل على ..... ∴ وإذا أشظ سجدن غير أوابى

تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما ∴ فعل المؤذن شك يوم سحاب

وقول أبى نواس يتغزل فى غلام :(٢)

يا ذا الذى يخطر فى مشيه ∴ قد صفف الشعر على جبهته

وسرح المئزر من خلفه ∴ ودقق البان على وفرته

مصدع تثنيه أعطافه ∴ أميس خلق الله فى مشيته

مهفهف ترتج أردافه ∴ يتيه بالحسن على جيرته

لقد كان للشعر من حرية القول ما دعاهم إلى مزيد من الإباحية والتعبير المكشوف - كما رأينا - ومع ذلك فقد كان هناك غزل عفيف بعيد عن مفاتن الجسد وشهواته ويمثل اتجاها روحيا خالصا يهتم أساسا بوصف مشاعر الحب والحنين واللوعة والأسى ولاشوق واللهفة والأم والأمل كقول العباس بن الأحنف :(٣)

أشكو الذين أذاقونى مودتهم ∴ حتى إذا أيقظونى فى الهوى رقدوا

لأخرجن من الدنيا وحبهم ∴ بين الجوانح لم يشعر به أحد

ألقيت بينى وبين الهم معركة ∴ فليس تنفد حتى ينفد الأبد

---

(١) الأغانى جـ٣ ص٢٠٢ . (٢) الفكاهة والايتناس فى مجون أبى نواس ص٢٦ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٥٥ .

وقوله : [1]

أحـــرم منكم بما أقـــول وقـــد ∴ نال به العـاشـقـون من عـشـقـوا

صـــرت كـــأنى نبالة نصـــبت ∴ تضئ للناس وهى تحـــتـــرق

وكان لشيوع الغناء أثر كبير فى تهذيب الشعر وتجويده ورقة أسلوبه وتخير ألفاظه وعذوبة موسيقاه ومحاولة التجديد فيها ببراعة وطرافة وسهولة ويسر . وقد اتصل الشعراء بالمغنين وأقبلوا على تأليف المقطوعات الغنائية يعبرون فيها عن كل فكرة وخاطر ولم يتركوا خالجة من خوالج الوجدان إلا عبروا عنها بأساليب مختلفة ووسائل فنية متعددة كما كان للغناء تأثير كبير فى أوزان الشعر وموسيقاه فتخير الشعراء الأوزان القصيرة وتجنبوا الأوزان الطويلة وهم إن ألموا بها نوعوا فيها وقد أدى ذلك إلى استحداث بعض الأوزان الجديدة استجابة لدواعى الغناء وتلبية لتصرفات المغنين ، وقد شاعت الأوزان القصيرة المجزوءة أو المولدة فى الشعر الذى لم ينظم أساسا لكى يتغنى به .

وقد استحدث العباسيون المزدوج والمسمط : أما المزدوج فهو يتألف من شطرين على قافية واحدة ثم من شطرين آخرين ... وهكذا وهو يقترن غالبا بالشعر التعليمى ولا يشيع فى الشعر الغنائى ، وأما المسمط فهو يبتدئ ببيت مصرع ثم تليه أربعة أبيات أقسمة أخرى على غير قافيته ويستمر على هذا النظام .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان للغناء أثره فى نوع خاص من موسيقى الشعر وأعنى بها الموسيقى الداخلية وهى التى تتمثل فى الاختيار البارع للألفاظ

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٥٦ .

وما بينها من ائتلاف وتناسق وحسن تقسيم وما يشيع فيها من ألوان المحسنات البديعية والزخارف اللفظية ومراعاة الملاءمة بينها وبين ما تعبر عنه من أفكار ومعان وخواطر بمعاونة الصور والأخيلة التى تقدم هذه المعانى والمشاعر فى لوحات فنية متكاملة وفى إطار من الموسيقى الخارجية المثيرة المؤثرة .

ولنستمع إلى أبى نواس يقول من بحر « المقتضب » :[1]

حـــامل الـهـــوى تـعـب ∴ يـســتـخـفـه الطرب

إن بـكـى يـحـق لـه ∴ لـيـس مـا بـه لـعـب

تـضـحـكين لاهـيـة ∴ والمحب يـنـتـحـب

كـلـمـا انـقـضـى سـبـب ∴ مـنـك جـاءنـى سـبـب

تـعـجـبين من سـقـمـى ∴ صـحـتـى هـى العـجـب

وها هو ذا أبو العتاهية يستجيب بطبيعته لهذا الروح الغنائى وما يستلزمه من روعة النغم وجمال الوزن وحلاوة الجرس فيقول :[2]

عـتـب مـا لـلـخـيـال ∴ خـبـريـنى وصـالـى

لا أراه أتـانـى ∴ زائـرا مـذ لـيـالـى

لـو رآنـى صـديـقـى ∴ رق لـى أو رثـى لـى

أو يـرانـى عـدوى ∴ لان من سـوء حـالـى

وإذا كان هناك تيار من اللهو والترف والمجون قد شاع وانتشر فقد كان هناك تيار مضاد من الزهد والتصوف والإقبال على الله والاعتصام به واللجوء

(١) معاهد التنصيص جـ ١ ص٣٠ .

(٢) الشعر والشعراء ص٤٩٧ .

إليه وذم الدنيا والتحذير منها والنصح بتقوى الله ومراقبته وإعداد العدة واتخاذ الأهبة ليوم الرحيل .

يقول أبو العتاهية :[1]

نعى نفسى إلىَّ من الليالى ∴ تصرفهن حالا بعد حال
فمالى لست مشغولا بنفسى ∴ ومالى لا أخاف الموت مالى
لقد أيقنت أنى غير باق ∴ ولكنى لا أرانى لا أبالى
أمالى عبرة فى ذكر قوم ∴ تفانوا ربما خطروا ببالى
كأن ممرضى قد قام يسعى ∴ بنعشى بين أربعة عجال
وخلفى نسوة يبكين شجوا ∴ كأن قلوبهن على المقالى

وقد امتلأت كتب الأدب بأخبار العاشقين وحكايا المحبين والغزلين وطرائفهم ونوادرهم كما تعرضت هذه الكتب لألوان الغزل الصريح ووصف مجالس اللهو والغناء والموسيقى وأخبار الجوارى والتقرب منهن والتودد إليهن مع رواية ما قيل فى كل ذلك من جيد الأشعار وما روى من أقاصيص .

وألف أبو الفرج الأصفهانى كتابه الأغانى وجمع فيه كثيرا من الأخبار والطرائف والنوادر وأداره على نوع من الشعر متميز بموسيقاه وكانت توضع فيه الأصوات والألحان . كما ازدهرت على الجانب الآخر أخبار المتصوفة والزاهدين وما صدر عنهم من بليغ القول ونادر العظات وذكر مواقفهم مع الخلفاء والأمراء ينصحون ويوجهون لا يخشون فى الله لومة لائم وقد تضمنت هذه الكتب كثيرا من الآراء والأحكام النقدية فى النثر والشعر ، وبذلك كانت من المراجع الأدبية القيمة .

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٣٤ .

وكان للازدهار الاقتصادى أثره فى الإغداق على الشعراء وتقريبهم ورفع مراتبهم والإشادة بهم ولذا فقد شاع المديح وظهرت المبالغات فيه وتفنن الشعراء وأجادوا وأبدعواحتى أصبحت مدائحهم عاملا هاما من عوامل اشتهارهم وخلودهم وقد أدى ذلك إلى إذكاء روح المنافسة بين الشعراء وقد حفلت مجالس الأدب والشعر بروائع من الشعر الخالد فى مجال التفاخر والمديح يقول أبو نواس :[1]

يا ناق لا تسأمى أو تبلغى ملكا ∴ تقبيل راحته والركن سيان
محمد خير من يمشى على قدم ∴ ممن برى الله من إنس ومن جان
مقابل بين أملاك تفضله ∴ ولادتان من المنصور ثنتان
مدّ الإله عليه ظل مملكة ∴ أضحى القصى بها كالأقرب الدانى
تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها ∴ خلقا وخلقا كما حذ الشراكان

بل إن كثيرا من الكتب الأدبية والنقدية والرسائل المختلفة كانت تؤلف على شرف خليفة أو أمير أو وزير تهدى إليه تودد وتقربا أو اعترافا بفضل أو يكون تأليفها بايعاز منه وكان الخلفاء والأمراء يجزلون العطاء ويبذلون بسخاء تقديرا للأدب وأهله واعجابا بالشعر والمبدعين فيه .

ولقد تهيأت للأدباء والشعراء بسبب هذه المنح والعطايا حياة الترف والنعيم فعاشوها ملء الأسماع والأبصار والقلوب وأتيحت لهم فرص التعبير عنها فى شتى مظاهرها وكافة أحوالها فتعددت الأغراض والموضوعات وتنوعت أنماط التعبير والتصوير واختلفت المذاهب والاتجاهات .

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢١٣ .

وحين تعددت بعد ذلك العواصم الحاكمة تعددت المراكز الأدبية فأتيحت للأدباء والشعراء فرص أعظم ومجالات أرحب وتنافس أشد وظهرت الآداب الإقليمية المتميزة بخصائصها واتجاهاتها .

وكانت سبل التلاقى ميسرة بين الأدباء والشعراء ووسائل الارتحال بين العواصم مهيأة وكان من ذلك أن تلاقت الأفكار وتواردت الخواطر وتبودلت المعانى وانتشرت السرقات الأدبية التى ألف فيها العديد من الكتب النقدية وكان تأثير الشعراء بعضهم فى بعض قويا مطردا مما هيأ المجال لقيام المدارس الأدبية وإذكاء الخصومات حولها واختلاف وجهات النظر فيها . وقد كان للأوضاع الاجتماعية المتناقضة والصراع الطبقى المرير آثار بالغة فى شيوع الهجاء والتفنن فيه واتخاذه سلاحا فتاكا يرهبه الناس ويخشون مغبته وعاقبته ، وقد تنوع هذا الهجاء فشمل الأشخاص والتنديد بهم وإبراز معاييهم الخلقية والخلقية كما شمل التنديد بالأوضاع والتقاليد السائدة ومن يمثلونها وتوجيه النقد للمسئولين والحكام فيما يتعلق بمظاهر البؤس والشقاء على هيئة نصائح وعظات .

وقد روى أن رسول ملك الروم إلى المنصور قال لعمارة بن حمزة وكان يرافقه من قبل المنصور فى تطوافه ببغداد .. أنى أرى عندكم قوما يسألون الناس ، وقد كان يجب على صاحبك أن يرحم هؤلاء ويكفيهم مؤنهم وعيالهم فاعتل له عمارة بوجه واعتل له المنصور بوجه .[1]

وقد صور أبو العتاهية حياة الفقر والشقاء والغلاء وشدة وقع ذلك على الشعب المغلوب على أمره موجها نظر الحكام إلى سوء هذه الأحوال فقال :[2]

(١) أبو عثمان الجاحظ لعبد المنعم خفاجى من ٢٥ .
(٢) ديوان أبى العتاهية ص٣٠٤ .

من مـــــبلغ عنى الإمـــــا ∴ م نصـــائحـــا مـــتـــواليـــه
إنى أرى الأســـعـــار أســـعـــار الرعـــيـــة غـــاليـــه
وأرى غـــمـــوم الدهـر را ∴ ئحـــة تمر وغـــاديه
وأرى اليـــتـــامى والأرا ∴ مل فى البـــيـــوت الخـــاليـــه
مـــن بـــين راج لـــم يـــزل ∴ يســـمـــو إليك وراجـــيـــه
يشكون مـــجـــهـــدة بأصـــوات ضـــعـــاف عـــاليـــه
من للبطون الجـــائعـــات ∴ وللجـــســـوم العـــاريه

وهذه الحياة المتناقضة وما يشوبها من صراع طبقى وما يعتريها من مظاهر البؤس والشقاء هى التى مهدت لظهور فن « المقامات » فى القرن الرابع الهجرى فالمقامات نرى فيها بحق تصويرا للبيئة وأحوال العصر وما توارد على المجتمع من ألوان الحياة وفنون العيش وطرائق الكسب وما شاع من مظاهر الفقر والاعتلال وما كان يسيطر على النفوس والعقول من أهواء ونزعات وما كان يدور بين الأدباء من مطارحات ومناظرات وألغاز وما كان يجرى على ألسنة الزهاد من نصائح وعظات وما أشبه ذلك من شواغل الأذهان فى تلك الأزمان .

بعد ذلك كله نستطيع أن نقرر أن المدنية العباسية والحضارة المزدهرة قد سمت بإنسان العصر العباسى وعملت على ترقية أحاسيسه ومشاعره وعمقت فيه الإحساس بالجمال وأشاعت روح الإبداع والتفنن والابتكار والتجديد فى كل ما يتناوله من شئون الحياة وقد عبر الشعر فأجاد عن مظاهر التفنن في ألوان الطعام والشراب والثياب ، والتحف والقصور والأبنية والستور والزخارف ووسائل الزينة وأدوات الجمال والفتنة التى عمت المجتمع فى العصر العباسى .

وهذه المظاهر الجمالية المتعددة هى التى ربطت الأدباء والشعراء بواقعهم يعبرون عنه ويستمدون منه الإلهام ويحلقون من خلاله إلى آفاق عليا من الروعة والبيان ، وهذه الواقعية هى التى صدرت عنها دعوة أبى نواس إلى نبذ الافتتاحية التقليدية فى الشعر من الوقوف على الديار وبكاء الأطلال ومساءلة الدمن والآثار .

ثم إن التفنن فى ألوان الحضارة ووسائل المدنية قد انتقل إلى وسائل التعبير وأساليب الكلام فشاع فيها ما عرف باسم البديع والجديد وما يستتبعه من زخرف ووشى كان بحق من خصائص أدب العصر ومميزاته .

ولقد كان ذلك الانفتاح على واقع الحياة ومظاهر المدنية والحضارة فيها مجالا رحبا لدخول كثير من الألفاظ الأجنبية والمعربة إلى اللغة العربية التى استوعبت كل مظاهر الحضارة والمدنية ولم تتخلف عنها أو تقصر فى استعمالها بعد تطويعها لأساليبها .

وفى مجال عرض النماذج الشعرية فى هذه الجوانب المختلفة نقرأ لابن الجهم قوله فى وصف القصور :[1]

صحون تسافر فيها العيون ∴ وتحسر عن بعد أقطارها
وقبة ملك كأن النجو ∴ م تصغى إليها بأسرارها
وفوارة ثأرها فى السماء ∴ فليست تقصر عن ثأرها
إذا أوقدت نارها بالعراق ∴ أضاء الحجاز سنا نارها

(١) الأغانى جـ٣ ص١٨٤ .

ويصف البحترى بركة قصر الجعفرى فيقول :[1]

تنصب فيها وفود الماء معجلة ∴ كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة ∴ من السبائك تجرى فى مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا ∴ مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها ∴ وريق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت فى جوانبها ∴ ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وفى تصفيف الشعر وتنسيقه يقول الحسين فى غلام :[2]

بأبى ماجن السريرة ∴ يبدى تعففا
حف أصداغه ∴ وعقربها ثم صففا
وحشا مدرج القصا ∴ ص بمسك ورصفا

ومن بدائع ما يرويه الوشاء هذه الأشعار الطريفة التى كانت تكتب وتطرز على الأقمصة والعصائب ومشاد الطرر والذوائب والستور والوسائد وعلى النعال والخفاف وهى تعبر أصدق تعبير عن مظاهر الترف والمدنية فى ذلك العصر .

ومن ذلك ما كتب فى صدر قميص جارية تباريح الكوفية بالذهب والفضة :

يا فتى قلت إن دعانى هواه ∴ مستجيبا لصوته لبيكا
ما بكت مقلتى لفقدك إلا ∴ جزعا أن أموت شوقا إليكا [3]

(١) ديوان البحترى جـ٤ ص٢٤١٨ ط. دار المعارف .
(٢) أغانى دار الكتب جـ٧ ص١٨٠
(٣) الموشى للوشاء ص١٦٨ ط ليدن .

ورأى الجاحظ نشوان جارية زلزل وعلى كرزبها مكتوب :

الحب يعـرف فى وجـوه ذوى الهـوى ∴ باللحظ قبل تصـافح الأجـفـان [1]

وكتبت ظلوم على جبينها بالمسك :

العين تفـقـد من تهـوى وتبـصـره ∴ وناظر القلب لا يخلو من النظر [2]

هكذا كان تأثير الشعر فى حياة الناس وتغلغله إلى أعماقهم فى هذا العصر العباسى المزدهر .. وهكذا عاش الناس فى هذا العصر فى صراع شديد بين حياة الزندقة وحياة الإيمان بين عيشة اللهو وعيشة الجد صراع بين الآراء والمذاهب ، بين العرب والموالى ، بين دعوة الاعتزاز بالعروبة الأصيلة والنزعة الشعوبية الحاقدة البغيضة .

وقد عبر الأدب عن هذه الحياة كلها بدقائقها وخفاياها فكان بحق مرآة صادقة لها وتعبيرا فنيا عنها كما كان بحق متأثرا بها فى شكله ومضمونه فى فنونه ومذاهبه فى أغراضه وموضوعاته ، فى أفكاره ومعانيه ، فى صوره وأخيلته ، فى ألفاظه وأساليبه فى بديعه وجديده ، فى زخارفه ومحسناته وموسيقاه .

وقد كانت الدولة العباسية تتألف من أمم شتى وعناصر متعددة فمع العرب كان هناك الفرس والأتراك والأروام والأرمن والأنباط والزنج وأهل الهند والسند وهكذا كان المجتمع العباسى يموج بهذه العناصر فيحتويها بكل خصائصها ومقوماتها ويمزج بينها مزجا عجيبا ويؤلف بينها تأليفا فريدا وإذا بكيان جديد كل الجدة ومتميز غاية التمايز يموج فى تيارات علمية وفكرية وثقافية وأدبية وفنية تروع وتبهر بآياتها وولائها وشواهدها .

---

(١) الموشى ص١٧٠ .

(٢) الموشى ص١٨٣ .

وقد اشتهر كثير من هذه العناصر والأجناس بالأدب والشعر ومنهم ابن المقفع وبشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية وابن الرومى وسلم الخاسر وأبان بن عبد الحميد وصالح بن عبد القدوس وأبو عطاء السندى .

وهذه الحياة بجوانبها المتعددة ونواحيها المختلفة وشواهدها العجيبة كان لها أثرها فى تحريك العقول والأفكار وإثارة المشاعر والأحاسيس وتفتيق المواهب والكشف عن نواحى النبوغ فكان من ذلك العديد من المؤلفات القيمة والرسائل الأدبية الممتعة التى تتصل بالحياة والمجتمع وعلاقات الناس بعضهم ببعض وعلى سبيل المثال أذكر الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع فى محامد الأمور ومكارم الأخلاق وتدبير الحياة وأحوال السلاطين والولاة كما تناول ابن المقفع فى رسائله أمورا هامة مثل صحبة الولاة والخلفاء وإصلاح الجند وإصلاح القضاء ، بل أنه أقدم على ترجمة كليلة ودمنة تحقيقا لميول خاصة فيه نحو الإصلاح الاجتماعى عن طريق القصص الوعظى والحكايات الرمزية التوجيهية على ألسنة الحيوانات .

وهذه الحياة بجوانبها المتعددة وأحوالها المتقلبة ومدنيتها المتقدمة قد تدفع أيضا إلى التحلل والاختلال ومن ذلك ما يروى عن أبى العجل فقد كان من آدب الناس وأكملهم عقلا وأشعرهم وأظرفهم وكان عالما بالنحو والغريب عارفا بأيام الناس وأخبارهم ملما بشئ من الفلسفة وكان مع هذا مقترا عليه ولعله رأى الجهال والحمقى فى سعة فاستعمل الغفلة وارتدى ثوب المجانة وادعى البله وهو القائل :[1]

شـــه شـــه على العـــقلل مـــــــا هـو مـن شكـلـلـى

(١) طبقات ابن المعتز ملحقات ص٤٥٢

صاحبه مفلولس  قليل ذى الحيلل

قد استرحت من اللوام والعذلل

فما أبالى ما الذى  قلت وما قيل لى

وحمقى قد صير ذا العالم خولا للى

آمل أن يحملنى  حمقى على بغلل

من عند ذا السيد المتفضلل

أمير دين المؤمنين المتوكل للى

ويروى أنه لم يحل عليه الحول حتى اكتسب باستعمال الغفلة والرطازة مالا كثيرا .[1]

✪ ✪ ✪ ✪ ✪

ومن الحقائق المسلم بها أن المجتمع فى بعض فترات العصر العباسى قد تعرض لحالة من حالات فقدان التوازن ظهر أثرها بوضوح فى هذا الاختلال البين فى البناء الاجتماعى واتساع الهوة بين الطبقات المختلفة [2] . وظهور تيارات متضاربة من الإباحية والفجور والزهد والتنسك والزندقة والتشكك ، والإيمان واليقين ، والحمق والاختلال والاتزان والتعقل ، وكان لابد أن تكثر الشكوى من الناس فى كل مجال وأن تختلط عليهم الأمور وتضيق بهم الحياة الجديدة باتجاهاتها المتضاربة وتياراتها المتفاوتة . وكان لابد أن يظهر أثر ذلك كله فى شعر الشعراء وإنتاج الأدباء سخطا وشكوى وبكاء وحسرة وسخرية ومجونا وانحلالا وزهدا وتقى ... .

(١) نفسه .

(٢) اتجاهات الشعر العربى لهدارة ص٧٢ .

فمن الهجاء الساخر هذه الصورة الكاريكاتيرية لمنصور الأصفهانى :

وجـــه المغـــيـــرة كله أنف ... مـــوف عليـــه كـــأنه ســـقف
رجل كـوجـه البـغل طلعـتـه ... ما ينقضى من قبحه الوصف
من حـيث مـا تأتيـه تبـصـره ... من أجل ذاك أمـــامـــه خلف
حـــصن له من كل نائبـــة ... وعلى بديـــه بعـــده وقف
جـفت المدائح عن خـلائقـه ... ولقد يليق بوجـهـه القـذف (١)

ومن الهجاء الساخر هذه الصورة الشعبية لأبى نواس :

يا غـــراب البين فى الشـــؤ ... م ومـــيـــزاب الجنابه
يا كـــتـــابا بطلاق ... يا عـــزاء بمصـــابه
يا مـــثـــالا من همـــوم ... يا تبـــاريح كـــآبه
يا رغـيـفـا ردّه البـقـال ... يبـــسـا وصـــلابه (٢)

ومن الهجاء الفاحش هذه الصورة لحماد عجرد :

يا نـافع ابن الفـــاجـــرة ... يا ســـيـــد المؤاجـــره
يـا حـلـف كـل داعـــر ... وزوج كـل عـــاهـره
تجـــارة أحـــدثتـــهـــا ... فـى الكشح غـــيـــر بائره
لو دخلت عـــفـــيـــفـــة ... بيـــتك صـــارت فـــاجـــره
حـــتى مـــتى ترتع فى ... الخـسران يا ابن الخـاسـره (٣)

وكثيرا ما كان يتوجه هذا الهجاء إلى السلطة الحاكمة على لسان شعراء

(١) طبقات ابن المعتز ص٣٤٩
(٢) ديوان أبى نواس ص١٥٥
(٣) الأغانى جـ ١٣ ص٣٤٤

الشعب فينتشر بين الناس خبره وقد لا يعلم قائله وذلك كما نرى فى هذه الأبيات فى هجاء الأمين :

أضـــاع الخـــلافـــة غش الوزير　　وفـسق الإمـام وجـهل المشـيـر
فـفـضل وزير وبكر مـشـيـر　　يريدان مـا فـيـه حـتف الأمـيـر
ومـــا ذاك إلا طريق غـــرور　　وشـر المســالك طرق الشـرور
لواط الخليـفـــة أعـــجـــوبة　　وأعـــجب منه خـــلاق الوزير
وأعـــــــجب من ذا وذا أننـا　　نبـايع للطفل فـينا الصـغـيـر (١)

وقد يتوجه الهجاء إلى المدن كما نرى فى هذه الأبيات لابن أبى الزوائد يهجو بغداد :

يا ابن يحـيى مـاذا بدالك مـاذا　　أمـقـام أم قـد عـزمت الخـيـاذا
فـالبـراغـيث قـد تثـور منهـا　　ســامــر مـا نلوذ منه مــلاذا
فنحك الجلود طورا فـتـدمى　　ونحك الصـدور والأفـخـادا
فـسـقى الله طيـبـة الوبل سـحـا　　وسـقى الكرخ والصـراة الرذاذا
بلدة لا ترى بهـا العين يومـا　　شـاربا للنبـيـذ أو نبـاذا
أو فـتـى مـاجنا يرى اللهـو والبـا　　طل مـجـدا أو صـاحـبـا لواذا (٢)

وقد يتوجه الهجاء إلى الزوجة والأولاد على سبيل السخرية وبث الشكوى من الزمان وسوء الحال كما نرى فى هذه الأبيات لأبى دلامة :

---

(١) تاريخ الطبرى جـ١٠ ص١٤٣ .
(٢) الأغانى جـ١٤ ص١٢٦ .

عجبت من صبيتى يوما وأمهم أم الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من مدبهة هبت تلوم عيالى بعد ما هجعوا
ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا سود قباح وفى أسمائنا شنع
إذا تشكت إلى الجوع قلت لها ما هاج جوعك إلا الرى والشبع
ما زلت أخلصها كسبى فتأكله دونى ودون عيالى ثم تضطجع
شوهاء مشنأة فى بطنها ثجل وفى المفاصل من أوصالها فدع
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاحرنطمت ثم قالت وهى مغضبة أأنت تتلو كتاب الله يالكع
اخرج لتبع لنا مالا ومزرعة كما لجيراننا مال ومزدرع
واخدع خليفتنا عنها بمسألة إن الخليفة للسؤال يندخدع (١)

وقد رأينا من الشعراء من يبكى شبابه ويتحسر على دنياه كهذه الأبيات لمطيع بن إياس :

إنى لباك على الشباب وما أعرف من شرتى ومن طربى
ومن تصابى إن صبوت ومن نارى إذا ما استعرت فى لهبى
أبكى خليلا ولى ببهجته بان يأثواب جدة قشب (٢)

كما رأينا شاعرا يرثى قميصه الذى أغار عليه فأر فقرضه ويتخذ من رثائه مجالا لبث شكواه من الزمان :

ما إن تمليته حتى أتيح له خفى دب لطيف الخطم والأذن

(١) الأغانى جـ١٠ ص٤٣٧ .
(٢) اتجاهات الشعر العربى ص٤٤١ .

ترنو بكحـــلاء لا يرنو بهـــا رمـــد  خوصاء صداعة مستكشف الدجن
سريعة السمع تصغى ثم تنصبـها  تحت الظلام حـــذار الطائر الطبن
مستتبع ذنبا كالسير تحسبه  سقيط مدرى غداة البين من ظعن
ليـلا فـغـادره للريح مـخـتـرقـا  كذاك من قد يتبعه الدهر بالإحن
قد صرت نهب هموم مذ أصبت به  حليف حزن من البأساء والعطن (١)

أما أبو نواس فقد رأيناه يرثى كلب صيد له فيقول :

يا بؤس كلبى ســـيـــد الكلاب  قـد كـــان أغنانى عن العـقـاب
وكـان قـد أجـزى عن القـصـاب  وعن شـــرائى جلب الأجـــلاب
يا عين جـــودى لى على حـــلاب  من للظبـــاء العـفـــر والذئاب (٢)

ومن الرثـــاء المرتبط بالمواطن والبلاد طويلة الخريمى فى رثـاء بغداد ومنهـــا :

جنة دنيـــا ودار مـــغـــبطة  قل من النائبـــــات دائرها
درت خلوف الدنيـا لساكنهـا  وقل مـعـسـورها وعـاسـرها
وانفـرجت بالنعـيم وانتـجـعت  فـيـهـا بلذاتهـا حـواضـرها
فـالقـوم منهـا فى روضـة أنف  أشـــــرق غب القطار زائرها
فلم نزل والزمـــان ذو غـــيـــر  يقـدح فى ملكهـا أصـاغـرها
حـتى تساقت كـأسـا مـثـملة  من فـتنة لا يقـال عـائرها

(١) اختيار المنظوم والمنثور ١٣ ورقة ٩٠ ( مخطوط ) .
(٢) ديوان أبى نواس ص١٩٠ .

ومنهـــا :

يـا بـؤس بـغـــــداد دار مملكـة دارت علـى أهـلـهـــــا دوائـرهـا

أمـــهلهـــا الله ثم عـــاقـــبـــهـــا لما أحـــاطت بهـــا كـــبـــائرها [1]

ومن طرائف ما يرويه ابن المعتز فى باب الرثاء [2] أن أبا حكيمة الشاعر (راشد بن اسحاق) فد رثى متاعه بما لم يجئ أحد بمثله فقال :

أيهـــــا ..... تنبـــــه خـلـع الخـــــــــشف إزاره

يـا ثـقـا اصـبـك الـرأفـلوى غـصـده فـى ـيك وطـول داـيـل وزيـه ثـــــــــاره

قلمـــــا تـهـــوى الغـــوانى حـلـم ..... ووقـــــــاره

إنمـا يـزهـدن فـــــيـــــه حين يعـــــرفن انكســـــاره

ويـواطـئـن عـلـيـــــــه حين يحـمـدن اخـتـبـاره

أين مـــــا كنت عليـــــه من نشـــــاط وحـــــراره

فـلعـــــهـــــدى بك دهـرا قـــائمـــا مـــثل المناره

مـــــــا يـراك الـنـاس إلا من حـــديد أو حـــجـــاره

وحين أنشده أحمد بن أبى طاهر مرثية لمتاعه منها هذا البيتان :

..... علـىّ مـع الـزمـــــا ن فـــــمـن أذم ومـن ألـوم

الشـــأن فى ..... يقـــوم للقـــيـــام فـــمـــا يقـــوم

(١) تاريخ الطبرى جـ١٠ ص ١٧٦ - ١٧٨ .

(٢) طبقات ابن المعتز ص٣٩٠ .

قال له أبو حكيمة : والله إنه لا شريك لى فى هذا الفن وإنى قد تفردت به دون الخلق وأنا أعطى الله عهدا يأخذنى به إن أنا قلت شيئا بعدها فى هذا المعنى[1] .

ومما يرويه ابن المعتز كذلك أن لمحمد بن يسير الرياشى مرثية طويلة فى بستان أكلته الشاه .[2] وقد روى الحصرى لأبى الفتح كشاجم رثاء قدح انكسر ورثاء منديل .[3]

هذه النماذج الشعرية الطريفة فى كل غرض وفى كل موضوع ان دلت على شئ فإنما تدل على هذه الحياة الاجتماعية المركبة المعقدة التى كان يحياها الناس فى خضم تيارات متضاربة وأهواء متصارعة وأحداث متعاقبة ومذاهب متناقضة واتجاهات متعددة وأحاسيس متباينة ومشاعر محتدمة ، والناس أبناء الحياة والشعراء خير من يعبرون عن هذه الحياة فى مختلف أحوالها وسائر مراحلها وشتى مذاهبها واتجاهاتها ... .

(١) طبقات ابن المعتز ص٤١٦ .
(٢) طبقات ابن المعتز ص٢٨٣ .
(٣) زهر الآداب جـ٤ ص٨٩٢ – ٨٩٤ .

## التيارات العلمية والفكرية فى القرنين الثانى والثالث

## وأثرهـــا فى الشـــعر

تأثرت الحركة العلمية بالدولة العباسية ومناهجها وأساليبها وسياستها تأثرا كبيرا ، وكان هناك التشجيع المستمر والحوافز الضخمة فى ميادين العلم والمعرفة والترجمة والتأليف ، وكان كثيرون من العلماء يستجيبون لنداء الدولة ويعملون على تحقيق أهدافها وبخاصة جماعة الفقهاء والمؤرخين والرواة والأدباء ، وفى اللغة والنحو كان الكوفيون أقرب إلى قصور الخلفاء من البصريين . يقول صاحب النوادر :

« انتقل العلم إلى بغداد قريبا وغلب أهل الكوفة على بغداد وخدموا الملوك فقربوهم فأرغب الناس فى الروايات الشاذة وتفاخروا بالنوادر .»[1]

وقد ازدهرت معاهد العلم فى عهد العباسيين وعلى رأسها الكتاتيب التى كان يتعلم فيها القراءة والكتابة والقرآن وعلوم اللغة فى بعض الأحيان ، وكانت مكانا لتعليم القرآن والحديث والفقه وأحكام الدين والوعظ بالقصص والأخبار وحين تنوعت العلوم فى العصر العباسى تنوعت حلقات الدروس من حلقات لتعليم النحو وقواعد اللغة إلى حلقات للفقه والتفسير وحلقات للأدب ورواية الشعر وإنشاده .

وقد ازدهرت مجالس المناظرة فى الدور والقصور والمساجد وبين العلماء والمفكرين والأدباء وشارك الخلفاء فيها بآرائهم ووجهات نظرهم وقد أثارت هذه

---

(١) النوادر جـ٢ ص٢٠٨ .

المشاركة حماس المتناظرين فاستعدوا وتسامحوا بالحجج والأدلة واستعانوا بالمزيد من البحث والاطلاع وقد كانت مجالس المناظرة عاملا كبيرا من عوامل الرقى العلمى والفكرى وسببا من أسباب الاستقصاء والإحاطة وبعد النظر وعمق التناول ، ولم يكن دور المكتبات وأثرها فى الازدهار الفكرى والثقافى ليقل عن غيره من العوامل فحين نشطت فى العصر العباسى حركات التأليف والترجمة وعظمت صناعة الورق وحرفة الوراقين كثرت المكتبات وذخرت بالكتب وأكبر مكتبة ينوه بذكرها فى ذلك العصر بيت الحكمة أو خزانة الحكمة التى كانت فى عهد الرشيد ونماها المأمون ودعمها . [1] وقد انتشرت المكتبات فى قصور الخلفاء والأمراء والأشراف وقلدهم فى ذلك الموسرون من العلماء والأدباء .

ومما هو جدير بالإكبار والتنويه أن الحركة العلمية والفكرية كانت متحررة تعتمد اعتمادا كبيرا على الجهد الخاص والرغبة الذاتية والقدرة على التحصيل ومتابعة حلقات العلم ، ولم يكن التعلم مقصودا لنيل درجات علمية وإنما كانت غايته العلم للعلم والمعرفة ومن وصل بعلمه إلى مقام التعليم وتصدر الحلقات علم وتحلق الناس من حوله واستعد لخوض مجال المجادلة والمناقشة لإثبات المقدرة والكفاءة والمنزلة ، ومن هنا كانت رحلات العلماء من بلد إلى بلد ومن موطن إلى موطن طلبا للعلم وسعيا فى سبيله وابتغاء لتحصيله وتحقيقه فارتحل علماء اللغة والأدب إلى البادية يقيدون اللغة ويسجلون الأدب ، وارتحل علماء الحديث إلى الأمصار المختلفة يقيدون الحديث ويتثبتون من روايته وتوجه طلاب الفلسفة والحكمة إلى القسطنطينية طلبا للكتب اليونانية وترجمتها . ولئن كانت مراكز الحياة العلمية والفكرية والثقافية متمثلة فى الحجاز والعراق والشام ومصر على

(١) ضحى الإسلام جـ٢ ص٦١ .

عهد الدولة الأموية فإن العراق فى العصر العباسى أصلح بجدارة أهم هذه المراكز جميعها وأكثرها حيوية وخصوبة وازدهارا فى مجال الدراسات الفلسفية والمنطقية والحكمة والأخلاق والطب والطبيعة والرياضة والفلك وعلوم اللغة والأدب والفقه والتفسير والحديث والغناء والموسيقى وفنون النقش والتصوير [1] وقد أورد المقدسى فى حديثه عن إقليم العراق قوله :

« هذا إقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء ، لطيف الماء ، عجيب الهواء ، ومختار الخلفاء ، أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء ، وسفيان سيد القراء ومنه كان أبو عبيدة والفراء ، وأبو عمرو صاحب القراء ، وحمزة والكسائى وكل فقيه ومقرئ ، وأديب وسرى ، وحكيم وداه ، وزاهد ونجيب ، وظريف ولبيب ، أليس به البصرة التى قوبلت بالدنيا ، وبغداد الممدوحة فى الورى ، والكوفة الجليلة وسامرا .[2]

وكانت المنافسة على أشدها بين البصرة والكوفة وبغداد فى إقليم العراق كما كانت العصبية ظاهرة واضحة لكل إقليم : فالعراقيون يتعصبون للعراق على الحجاز والحجازيون يتعصبون للحجاز على العراق ... وهكذا .

ويعد هذا العصر أزهى عصور العلم والنشاط العقلى فقد كان العقل الإسلامى فيه دائب النشاط خصب الإنتاج عميق البحث حر العمل جريئا فى اقتحام الميادين لا يتوانى عن الخوض فى أدق المسائل . وكانت بلاد الإسلام وارثة لبلاد وأمم شغلت من قبل بالعلوم العقلية وبالدراسات الدينية والخلافات المذهبية كالروم والفرس واليونان والقبط وكانت فيها حركات علمية ومدارس

(١) فجر الإسلام لأحمد أمين ص٢١٨ .
(٢) أحسن التقاسيم ص١١٣ .

فكرية ومراكز معروفة بالنشاط العقلى مثل مدرسة جند يسابور ومدرسة حران القديمة فى شمال العراق ومدرسة الإسكندرية التى كانت مركزا من مراكز الفلسفة اليونانية وقد ظهر بها مذهب أفلاطون « الأفلاطونية الحديثة » ولذا فقد امتازت هذه الفترة من تاريخ الأمة العربية والدولة الإسلامية بالنشاط الشامل .. بل إن القرن الثانى الهجرى قد شهد تدوين أغلب العلوم وتنظيمها سواء فى ذلك العلوم النقلية والعلوم العقلية وأكثر علوم الإسلام قد وضعت فى هذا الوقت وترجمت أكثر كتب الأمم الأخرى التى اتصل بها العرب وظهر فى المسلمين علماء أحرار لهم قدراتهم الخاصة فى حيوية الفكر ونضج العقل والاقتدار على الإبداع والابتكار مع المثابرة وقوة الاحتمال . ولقد حفل التراث بمؤلفات جليلة لأولئك العلماء الأفذاذ فى التفسير والحديث والفقه والتشريع واللغة والنحو والأدب والتاريخ والسير والفلسفة والمنطق والرياضيات والطبيعيات والكيمياء والطب والفلك والجغرافيا والموسيقى والغناء .

ومما يستوقف الباحث أن الغالبية العظمى من المشتغلين بالعلوم والمعارف كانوا من الموالى الفرس على وجه الخصوص وفى ذلك يقول ابن خلدون : [1]

« من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الإسلامية أكثرهم العجم وإن كان منهم العربى فى نسبته فهو أعجمى فى لغته ومرباه ومشيخته مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربى والسبب فى ذلك أن الملة فى أولها لم يكن علم فيها ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة » .

ثم يقول معللا لاستئثار الفرس بالاشتغال بالعلوم :

(١) المقدمة ص٢٧٠ وما بعدها .

« والحضر لذلك العهد هم العجم أو من فى معناهم من الموالى وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم فى الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس » .

وكلام ابن خلدون قد يصح أن ينطبق على العرب فى جاهليتهم الأولى أما بعد أن منّ الله عليهم بنور الإسلام ونعمة التوحيد والإيمان وأظلهم بهداية القرآن فقد سرى فيهم ذلك التيار القدسى العجيب الذى جعل منهم بحق خير أمة أخرجت للناس فى كل شئ وهذا التيار ذاته هو الذى سرى فى الأعاجم فتوهجوا وتألقوا وتقدموا بالإسلام وبما كان لهم من حضارة ومدنية وسبق .

وقد كان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل وغدا الناس جميعا طلاب علم ومعرفة وعشاق أدب وفن .

كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم يحملون الشهد إلى جموع المتعطشين المتلهفين من طلاب العلم والمعرفة ثم يأخذون فى تصنيف هذه المؤلفات القيمة التى هى أشبه بدوائر للمعارف كان لها أكبر الفضل فى إيصال هذه العلوم الحديثة إلى العالم الجديد بصورة لم تكن متوقعة من قبل .[1]

وقد وضعت مناهج للبحث يسير عليها العلماء والباحثون فاعتمد المفسرون والمؤرخون والمحدثون وعلماء اللغة والأدب على الرواية وصحة السند والتحقيق

(١) تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص٢٥٦ نقلا عن نيكلسون فى تاريخ العرب .

والتمحيص وكان التعلق بالقرآن الكريم والقصد إلى تفهم آياته المنزلة بلسان عربى مبين وراء الاهتمام البالغ بالتراث الأدبى العربى ورواية أشعار العرب للاستعانة بها على تفهم معانيه وتذوق بلاغته وفصاحته ففى كتاب الجامع لأحكام القرآن يروى القرطبى قول سعيد بن جبير ويوسف بن مهران :

« سمعنا ابن عباس يسأل عن الشئ من القرآن فيقول فيه كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا .... » .[1]

وبهذه الدفعة القوية جمع الأدب القديم وارتحل الرواة إلى البوادى يجمعونه من بيئته ووفد الرواة من الأعراب إلى الحضر ، وكان فى الكوفة والبصرة حركة قوية لجمع اللغة والأدب وما يتصل بهما من أيام العرب وأخبارها ولا يعرف بلد آخر شارك فى هذه النهضة اللغوية وأنجب من علماء اللغة ورواتها بقدر ما أنجبت البصرة والكوفة .[2]

وكان من دواعى رواية اللغة والاهتمام بها فى هذا العصر يقظة النزعات القومية وبخاصة فى العراق وفى ظلال دولة قال عنها الجاحظ « إنها أعجمية خراسانية » [3] . فبالنسبة للعرب أثارت هذه اليقظة القومية الهمم إلى جمع اللغة والأدب العربى حفاظاً على هذا اللسان العربى الذى نزل به القرآن ودعما لهذه اللغة التى يتمثل فيها فكر العرب وثقافتهم وأدبهم . أما غير العرب من الأعاجم فقد اتخذت هذه اليقظة بالنسبة لهم ألوانا مختلفة فى التعبير عن نفسها وكانت دراسة اللغة وروايتها من بين الوسائل لبلوغ غايتهم فى استعادة أمجادهم ومحاولة إبراز

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبى جـ١ ص٢٤ ط : دار الكتب .

(٢) رواية اللغة لعبد الحميد الشلقانى ص١٧٩ بحث مخطوط بمكتبة آداب الاسكندرية .

(٣) البيان والتبيين جـ٣ ص٢٩٧ .

مثالب العرب لتثقل بذلك موازين الفرس عليهم كالهيثم بن عدى وعلان الشعوبى وأبى عبيدة معمر بن المثنى .[1] وآخرون حاولوا أن يأخذوا أماكنهم فى الدولة الجديدة ويتبوأوا من المناصب ما حرم عليهم بالأمس وليس عليهم فى سبيل بلوغ هذه الغاية إلا أن يتزودوا من العلوم العربية واللغة بخاصة . ومنهم من حاول تحقيق المجد الأدبى ليشارك العربى مكانته . ومنهم من أقبل مخلصا على دين الله يقرأ كتابه ويفهم دقائقه ويتعرف على تأويله وكانت وسيلة هؤلاء جميعا التعرف على اللغة عن طريق رواية آثارها الأدبية .[2]

ونتيجة لذلك كله تفتحت العقول وازدهرت الأفكار ونشطت المواهب وتألقت القدرات . وكان لحرية الرأى والتفكير آثار بالغة فى المناظرات والمجادلات الكلامية بين الفقهاء والباحثين وأصحاب المذاهب والفرق الدينية المختلفة والديانات المتعددة والزنادقة والشعوبيين . وخاض الجميع صراعا مريرا كان سلاحهم فيه الدراية والعلم والمعرفة وقوة الحجة والتزود بشتى الثقافات والأخذ من كل فن بطرف . وقد ازدهرت ثقافات أجنبية فى العصر العباسى وكان لهذه الثقافات آثار بعيدة المدى فى تطور الفكر العربى ودعم الثقافة العربية ونهضة الأدب العربى وكان أشهر هذه الثقافات الأجنبية الثقافة اليونانية والفارسية والهندية وكانت الدولة تبذل كل جهد وتعطى بسخاء من أجل ترجمة هذه الثقافات ونشرها . فظهرت فى الدولة العباسية خلاصة ثقافات الأمم وتمازجت وائتلفت وعرضت على أنظار الناس يأخذون منها ما يشتهون ويستمدون منها ما يفقهون .[3]

---

(١) رواية اللغة ص٤٩ .

(٢) رواية اللغة ص٥٠ .

(٣) التوجيه الأدبى لطه حسين وزملائه ص٢٠٥ .

وعلى سبيل المثال نرى باحثا كهانز شيدر يقرر أنه فى هذا العصر قد وضع الأساس لبناء علم كلام إسلامى يعمل بأدوات هلينية . [1] وفى كلامه جانب من الصواب وجانب من الخطأ .

ويرى غيره من الباحثين أن العوامل التاريخية والجغرافية والجنسية فى الشرق هى التى جعلته لا يعطيه من كتب اليونانيين إلا ما كان معترفا به من النزعة العقلية المنطقية من الجميع وما كان فى الآن نفسه يلائم عقليته ونعنى به أولا وقبل كل شئ النزعة المنطقية ، أما الشعر الغنائى اليونانى والأدب الروائى كله وما يتصل بآلهة هوميروس وكبار المؤرخين اليونانيين كل هذه الأشياء ظلت أبوابها موصدة أمام الشرق » . [2] وهذا وضع طبيعى لأن الفلسفة والعلم يرجعان إلى العقل والعقل عالمى يشترك الناس كلهم فى قضاياه ونتائجه أما الفن والأدب فمرجعهما إلى الذوق ، والذوق مختلف بين الشعوب . [3] وقد سارت هذه الثقافات فى مجاريها الخاصة يحمل أعلامها رجال بارزون يهيئون لها القلوب والعقول وييسرون أمامها كل سبيل لتصب فى النهاية فى ذلك الخضم العربى العظيم الذى استوعب كل الثقافات وكل المعارف والعلوم والفنون .

وما أريد أن أنبه عليه وأشير إليه هو أن هذه الثقافة العربية إنما هى ثقافة عربية متميزة بخصائصها ومقوماتها وليست مجرد خليط من الثقافات ، وأن الفكر العربى إنما هو فكر متميز بسماته وملامحه وليس مجرد أشتات من الأفكار . فقد انصهرت هذه الثقافات فى بوتقة العروبة والعقيدة الإسلامية وأصبحت بحق

---

(١) روح الحضارة العربية لهانز شيدر ترجمة عبد الرحمن بدوى ص١١١ .
(٢) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ترجمة عبد الرحمن بدوى ص٢٧ .
(٣) التوجيه الأدبى ص٢٠٧ .

تعبيرا عن الحياة العربية الجديدة بكل ما تمثل فيها من خصائص وما طرأ عليها من تغيير وما أحاط بها من ظروف ، كما أن هذه الموجات الفكرية المتعددة قد تجمعت وتلاقت فى تيار قوى هادر متآلف منجانس متكامل فى خصائصه متفرد فى اتجاهاته ومذاهبه .

وفى المجال الفنى نرى أن العرب بعد اتصالهم بحضارات الأمم الأخرى قد استطاعوا أن يبدعوا صورا فنية جديدة ترتكز على دعائم وطيدة من العقيدة الإسلامية الراسخة تدور فى إطارها ولا تنحرف عن مبادئها فبرعوا فى البناء والزخرفة والنقش واتخذوا طرازا خاصا للعمارة يتناسب مع بيئاتهم وطبيعتهم وظروف معيشتهم فامتازت مبانيهم بطرز خاصة من الأعمدة والأقواس والعقود والقباب .

وقد تقدم فن الزخرفة الإسلامية فى عهد الدولة العباسية وكان للخلفاء العباسيين والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة ولوع شديد ببناء القصور الفخمة وتشييد الأبنية العجيبة .[1] وأصبحت القصور فى العصر العباسى تحلى بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج وعليها صور ونقوش وزخارف وستور وكان لاهتمام الخلفاء بالعمارة أثر عظيم فى النهضة العمرانية الشاملة فى العصر العباسى .. فأبو جعفر المنصور هو الذى بنى مدينة بغداد وكاتب الأطراف بإنفاد الصناع والفعلة وأمر باختيار قوم من ذوى العدالة والعقل والعلم والأمانة والمعرفة بالهندسة ليتولوا قسمة المدينة وعملها ، وقال وهو يضع بيده أول لبنة ، بسم الله والحمد لله الأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، .[2] والمنصور

(١) تاريخ بغداد جـ١ ص٧٣ .
(٢) الفخرى ص١٦٣ .

أيضا هو الذى بنى الرصافة لابنه المهدى لكى تكون له حصنا ومنعة فى الجانب الشرقى .[١]

والمعتصم هو الذى بنى مدينة « سر من رأى » وكان ذلك فى سنة إحدى وعشرين ومائتين [٢] ، وقد اختار موقعها على أساس أن تكون مأمنا له إن رابه من عساكر بغداد حادث أو لتكون موطنا لمماليكه وغلمانه الذين استكثر منهم حتى ضج أهل بغداد بالشكوى من سوء تصرفهم وفعالهم .

يقول المسعودى عن المعتصم « كان المعتصم يحب العمارة ويقول إن فيها أمورا محمودة فأولها عمران الأرض التى يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الأموال » .[٣]

ومما يتصل بالزخارف والنقوش فن الوشى والتطريز وقد انتشر وازدهر فى المجتمع العباسى فكتبت الأشعار الرقيقة والجملة الظريفة تطريزا على الأقمشة والأردية والأكمام ونحوها وعلى العصائب ومشاد الطرر والذوائب والزنانير والمناديل والوسائد والبسط والأسرة والكلل والنعال والخفاف وبالحناء على القدم والراح .[٤]

ولقد ازدهرت فنون الغناء والموسيقى فى العصر العباسى نظرا للحياة الراقية والمدنية المتقدمة وألوان الترف ومظاهر التحضر وإقبال الناس على متع الحياة

---

(١) الفخرى ص١٧٤ .
(٢) الفخرى ص٢٣١ .
(٣) مروج الذهب جـ٢ ص٣٤٥ .
(٤) الموشى للموشاء ص١٦٧ إلى ص١٨٢ ط : ليون .

ومباهجها وإحساسهم بالجمال وتذوقه والسعى إليه أينما وجد وحيثما كان .[1] بل قد أقبل بعض الخلفاء والأمراء على الغناء يتعلمونه وعلي آلات الموسيقى يعزفون عليها وقد عد الغناء من حاجات الإنسان الضرورية فى هذا العصر فكانت جموع المغنيين والمغنيات تنتشر فى المحال العامة وفى الشوارع والميادين وفى قصور الخلفاء وفى بيوت الأغنياء والفقراء ، وقد نما ذوق الناس فى الغناء نموا غريبا .[2] وكانت لهم خبرة عالية بأوزانه وضروبه وطبقاته . ومع ازدهار الغناء ازدهرت فنون الشعر والموسيقى وكان للجوارى دور كبير وأثر فعال فى تنشيط هذه الفنون .

هكذا يبدو بوضوح أن العصر العباسى فى عهده الأول كان يعد بحق أزهى عصور العلم والمعرفة والنشاط الفنى والفكرى وكانت العقلية الإسلامية دائبة النشاط موفورة الإنتاج متحررة جريئة فى اقتحام الميادين المتعددة وكانت دولة الإسلام وارثة لبلاد وأمم لها ثقافاتها وعلومها وفنونها ومذاهبها وعقائدها وقد قامت فيها حركات علمية ومدارس فكرية ومراكز ثقافية متقدمة . وهذه الثقافات الأجنبية التى ازدهرت فى هذا العصر كان لها أكبر الأثر فى تطور الفكر العربى وخصوبة الثقافة العربية التى أصبحت بحق تعبيرا عن الحياة العربية الجديدة والدولة الإسلامية الممتدة بكل ما تمثله من خصائص ومقومات .

وهذه الثقافات الأجنبية التى نقلت إلى العربية وسعت طاقاتها بما كسيت من المعانى العقلية والفلسفية والومضات الفكرية وبما كان لها من أعماق وأبعاد وامتداد آفاق وميل إلى الإبداع والتجديد وبذلك تمثلت فى الأدب العربى نثره وشعره ثقافات متعددة واتجاهات متنوعة واتسعت لغة الصحراء فأصبحت لغة

(١) الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين لخفاجى والمسلوت وحسن جاد ص٣٧٤ .
(٢) ضحى الإسلام جـ١ ص٩١ .

ثقافية ذات أسلوب مرن يستوعب كل ما لدى الأمم من ألوان المعرفة ومذاهب الفلسفة وحكمة الحياة وحقائق الوجود وطبائع الأشياء مما كان له أثره فى الأدب عموما نثره وشعره .(١)

والجاحظ يعبر عن قيمة هذه الثقافات المختلفة وأثرها فى الفكر العربى فيقول :

« ولولا ما أودعت لنا الأوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم لقد خس حظنا من الحكمة ولضعف سببنا إلى المعرفة ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا لما تدركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة وسقطت الهمة وارتفعت العزيمة وعاد الرأى عقيما والخاطر فاسدا ولكل الحد وتبلد العقل » .(٢)

والحق – كما يقول صاحب اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى – أن الثقافة العربية بعد أن هضمت هذه الثقافات الأجنبية المختلفة لم تصبح ثقافة محددة بمكان أو زمان أو جنس ولكنها صارت ثقافة عالمية ملكا لشعوب العالم كله فى ذلك الوقت وليست ملكا للعرب وحدهم ولا للفرس ولا للهنود ولا لليونان ولا للسريان ... .(٣)

وقد كان تأثير هذه الثقافات على الأدباء والشعراء تأثيرا عظيما اتضحت

---

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص١٢٤ .
(٢) الحيوان جـ١ ص٨٥ .
(٣) اتجاهات الشعر لمحمد مصطفى هدارة ص١٠٢ .

مظاهره فى آدابهم وأشعارهم . فلم يكونوا بمعزل عن هذه الثقافات ولم يكونوا من الخمول والكسل والجمود بحيث يقتصرون على قدر ضئيل منها وإنما كانت هذه الثقافات ضرورة لمن يشتغل بالأدب والشعر فى مجتمع تفتحت أمامه آفاق العلوم والمعارف والآداب والفنون وأصبح التزود من كل علم وفن سمة من سماته وخاصية من خصائصه ولا نغالى إذا قلنا من أبرز السمات وأخص الخصائص .

وهذه البيئة التى تعددت فيها الثقافات وتنوعت هى التى وضعت قواعد البلاغة والفصاحة وأتاحت للغة العربية مرونة الأساليب على أداء المعانى الدقيقة وهى التى وضعت نماذج التعبير العباسى البليغ حيث كانت تهتم بعذوبة الأسلوب وجمال الأداء وعمق المعانى وطرافة الأفكار وحسن اختيار الألفاظ وبراعة العرض وحيوية الموضوع وروعة الإثارة .

ومن الحقائق المقررة أنه ليست هناك حضارة أصيلة قد وجدت من العدم أو ابتدعت ابتداعا وخلقت خلقا بفضل ابتكار عقول أبنائها وثمرات جهودهم وحدهم إنما الحضارات الإنسانية قد تكونت نتيجة لجهود أمم شتى وجماعات كثيرة وعناصر متعددة ... وتلك هى سنة التطور والارتقاء .

✪ ✪ ✪ ✪ ✪

ومما لا شك فيه أن الحضارة العباسية التى استوعبت كثيرا من الحضارات واحتوت العديد من الثقافات قد أثرت فى الأدب العربى تأثيرا كبيرا ووجهته توجيها متطورا جديدا ولذلك نستطيع أن نقرر أن الأدب قد نهض وازدهر فى العصر العباسى بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم ومن قصص الهند وحكمتها وأدب الفرس وروائعهم ، ونتج عن ذلك أدب عربى فيه تطور كبير فى الكتابة

الفنية وفى أغراض الشعر وموضوعاته وفى أوزانه وقوافيه وفى عمق الأفكار وغزارة المعانى وجودة التقسيم وطرافة الخيال والإكثار من البراهين العقلية والأمثال السائرة وحسن الاستقصاء وكثرة الاستطراد وبراعة التحليل .

كما تفتحت آفاق التجديد أمام الشعراء إزاء ما استوعبوه من تراث قديم وما تفتحت عليه أعينهم من ألوان الحياة الجديدة والثقافات المتعددة والحضارات المختلفة وبفعل تلك التيارات الأجنبية الوافدة التى انتقلت إلى البيئة العربية بالارتباط الاجتماعى والامتزاج الفكرى والثقافى وبالترجمة المزدهرة التى أولاها الخلفاء كل رعاية واهتمام وبالتأثير القوى الفعال لدعوات الفرق الدينية والمذاهب العقائدية الحافلة بكثير من الآراء والمعتقدات الأجنبية الدخيلة .

لقد ترجمت عن الفرس مؤلفات جليلة وآثار فريدة منها : « كليلة ودمنة » ، « اليتيمة » ، « الأدب الكبير » ، « الأدب الصغير » وكتاب « هزار أفسانه » الذى يقال إنه أصل من أصول « ألف ليلة وليلة » [1] وكثير من كتب القصص مثل « بوسفاس » ، « روزبة اليتيم » ، « نمرود » ، « خرافة ونزهة » ، «الدب والثعلب» .

كما أن هناك من تثقفوا باللغة الفارسية ثم أخرجوا باللغة العربية علما وأدبا وشعرا يمتاز بالطرافة والإبداع والتجديد ترى فيه بلاغة العرب ومعانى الفرس . وفى هذا المجال يتحدث الجاحظ عن موسى بن سيار الأسوارى أحد القصاص ويقول : [2] كان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن

(١) ضحى الإسلام جـ١ ص١٨٧ .
(٢) البيان والتبيين جـ١ ص١٣٩ .

يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدرى بأى لسان هو أبين .

وكانت كتب الفرس فى القصص أساسا من الأسس القويمة التى ازدهر بها فن القصة والمقامة فى الأدب العربى .[1] وكان لهم أيضا شعر كثير وأدب غزير وحكم صائبة وأمثال موفورة وقد أفاد العرب من ذلك كله وظهر أثره بوضوح وجلاء فى الأدب العربى وكان للآداب الفارسية أيضا أثرها فى الاهتمام بالزخارف والمحسنات البديعية وصياغة الأساليب والتأنق فيها . ونتيجة لتغلغل الروح الفارسى فى شتى نواحى الحياة دخل فى اللغة العربية كثير من الألفاظ الفارسية مثل « الجوزينج » « اللوزينج » نوع من الحلوى شبه القطائف يحشى باللوز أو الجوز « الكامخ » : طعام من دقيق ولبن وملح « الجلاب » : ماء الورد – الجلنار : زهر الرمان – البستان : مكونة من بو بمعنى رائحة وستان بمعنى موضع أو مكان – بيمارستان : موضع علاج المرضى ( بيمار : مريض ) « الاسطرلاب : آلة قياس ارتفاع الكواكب – البربط : العود – البم والزير : وهما من أوتار العود ، والتوت والآذريون : نور أصفر .

وقد انتشر وازدهر أدب اللهو والترف والمجون وقابله من جانب آخر أدب زاهد مقبل على الله معرض عن متع الحياة ومن زعماء أدب اللهو والمجون بشار ابن برد وأبو نواس وهما فارسيان ، وكان يحمل لواء أدب الزهد أبو العتاهية وهو فارسى أيضا وقد تجلت فى هذين اللونين نزعات عقائدية فارسية صريحة من مثنوية ومانوية ومزدكية .[2]

---

(١) الفهرست لابن النديم ، ص٣٠٤ .
(٢) ضحى الإسلام جـ١ ص١٩٥ .

وكان للفرس أثر واضح فى لون من ألوان النثر الفنى وهو فن « التوقيعات » الذى ازدهر فى العصر العباسى بما توفر له من قوة المعنى وشدة التركيز وجودة الصياغة وعذوبة الألفاظ وتوشيتها بالزخارف والمحسنات ، وقد كان للفرس قدم راسخة فى هذا المجال اقتفى أثرها الكتاب والوزراء فى الدولة العباسية وكان أكثرهم فرسا .

وجملة القول أن تأثير الفرس كان عظيما لا ينكر فى الأدب العربى وأن كثيرا من النابغين فى الفقه والتشريع واللغة والنحو والأدب والنقد والشعر والقراءات والسير والأخبار كانوا فرسا وكان لهم أثر كبير فى الثقافة العربية الإسلامية . وقد يكون هناك جانب من الشر لا ينكر نتيجة لتأثير هذه الثقافة الفارسية فقد سرى إلى اللغة العربية كثير من وجوه اللحن والفساد وضعفت الملكات العربية الأصيلة وتزايدت العناية بالبديع وألوان المحسنات والزخارف مما تسبب فى تعقيد صنعة الشعر والنثر وحال دون البساطة وسلامة الطبع .[1]

وقد حاول بعض الباحثين أن يقلل من أهمية الثقافة الفارسية وتأثيرها فى الثقافة العربية وأجهد نفسه فى استنباط الأدلة وجمع البراهين ليقرر فى النهاية أن قصة الحضارة الفارسية والعلم الفارسى قصة أضخم انتحال فى التاريخ سهرت على تنظيمها عصبية شعب حرم من مميزات التفوق التاريخى فى مجال صراع عنصرى جبار .[2] وأعتقد أن الأمر لا يحتاج إلى هذا الإقناع المجهد وهذه المواجهة العنيفة فالحضارة العباسية والثقافة العربية لا يضير أيا منهما تأثر : بثقافة فارسية أو غيرها من الثقافات فالأخذ والعطاء من سنن التقدم والارتقاء على

(١) الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين ص١٧٣ .
(٢) البهبيتى فى تاريخ الشعر العربى ص٢٣٠ .

مر الزمان ، ودعوى انتحال الفرس لثقافات الأمم التى وقعت غنيمة تحت حكمهم وتسلطهم أمر يمكن أن ينسحب ويقال عن الحضارة العباسية والثقافة العربية بالضرورة فقد امتدت الدولة العباسية وسيطر الحكم العربى على بقاع شتى تحوى ثقافات أمم عديدة وتتمثل فيها حضارات شعوب أصيلة ، ثم من ذا الذى يستطيع أن ينكر كل مأثور ومروى عن الدولة الفارسية والساسانية والملك الكسروى القديم !!

وإذا كانت الشعوب بوجهها العنصرى البغيض وراء كثير من التزيد والادعاء فهناك جانب لا ينبغى إغفاله وهو أن كثيرا من أقطاب الفرس فى الدولة العباسية كانوا يعملون لوجه الإسلام وفى سبيل نهضة الدولة ويبذلون كل جهد لتحصيل العلوم والمعارف والفنون وإتاحة الفرص لشتى الثقافات وعلى سبيل المثال نورد ما أورده ابن النديم عن يحيى بن خالد بن برمك الذى عنى بتفسير كتاب المجسطى فى الهيئة ونقله إلى العربية نقلا صحيحا جيدا وأمره بتفسير كتاب فى الطب لمنكه الهندى [1] .... وهكذا فيحيى بن خالد برمكى فارسى ومع ذلك فهو يعنى بالثقافة اليونانية والهندية والعربية إلى جوار العناية بالثقافة الفارسية .

وكان للثقافة الهندية أيضا آثارها فى الأدب العربى والثقافة العربية فقد عربت ألفاظ هندية واستعملت فى اللغة العربية مثل ، زنجبيل وكافور وآبنوس وببغاء وخيزران وفلفل ..... ، كما نقل إلى العرب آراء الهنود فى الأدب والبلاغة .[2]

(١) الفهرست ص٢٦٨ .

(٢) البيان والتبيين جـ١ ص٧٩ .

وعرفت الهند القواعد النحوية والصرفية وضرورتها فى ضبط الكلام فتعلموها ، والشاعرية أصيلة فى الهنود ولذلك كان لهم ولع بالشعر وعلم بالبحور والأوزان وقد نظموا بالشعر القواعد الرياضية والفلكية على طريقة نظم العلوم وكان للقصص الهندى تأثير كبير فى الأدب العربى وقد ذكر ابن النديم كتبا كثيرة للهند فى الخرافات والأسمار والأحاديث منها كليلة ودمنة والسندباد الكبير والسندباد الصغير وكتاب « هابل » فى الحكمة وكتاب الهند فى قصة هبوط آدم وكتاب ملك الهند القتال والسباح وكتاب بيدبا فى الحكمة .[١] كذلك أخذ العرب من الهنود كثيرا من الحكم التى يميل إليها الذوق العربى بما فيها من خلاصة التجارب ودقة التركيز وبلاغة التعبير وقد ظهرت آثار تلك الحكم فى الأدب العربى شعرا ونثرا .

كذلك كانت للهند عادات وتقاليد ونظم وشرائع وشعائر ومذاهب ظهرت آثارها بوضوح فى الأدب العربى .[٢]

ومن المؤكد أن كثيرا من تأملات الهنود فيما وراء الطبيعة أخذ طريقه إلى العربية وكان له صداه الواسع فى آراء أصحاب الفرق الدينية والصوفية الإسلامية وأرباب المذاهب والنحل وقد لعبت نظرية الهند فى التناسخ وبعض مذاهبهم الدهرية دورا هاما فى نزعات الزندقة والإلحاد ، وقد تسرب إلى الأدب العربى كثير من هذه الآراء والنظريات .

وقد نبغ منهم فى الشعر العربى : « أبو عطاء السندى وابن أبى عطاء السندى [٣] كما نبغ فى اللغة ابن الأعرابى وكان من أعلام اللغة والأدب والشعر . ومن المحدثين أبو معشر نجيح السندى » .[٤]

---

(١) الفهرست ص٣٠٥ .
(٢) انظر كتاب البيرونى « تحقيق ما للهند من مقولة » .
(٣) الأغانى جـ١٦ ص٨١ .
(٤) ضحى الإسلام جـ١ ص٢٤٤ .

وفى مجال العلم والصناعة اشتهرت الهند بعلوم الحساب والرياضة والفلك والطب وطبع السيوف ونحت الصور . يقول الجاحظ « اشتهرت الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب والخراط والنجر والتصاوير والصناعات الكثيرة العجيبة » .[1] وقد ترجم بعض ذلك إلى اللغة العربية وكان له أثره فى الثقافة العربية كما تردد فى الشعر العربى بعض مصطلحات هذه العلوم والفنون وبعض الآراء والأفكار الواردة فيها . ويذهب كثير من الباحثين إلى أن الهنود هم الذين اخترعوا لعبة الشطرنج وقد انتشرت هذه اللعبة فى المجتمع العباسى واشتهر بها كثير من الناس وائتلفت باقة من الأدب الجميل حولها بالفارسية والعربية ومن ذلك ما قاله ابن الرومى فى أبى القاسم التوزى الشطرنجى[2] :

غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بأنفس اللعباء

لك مكر يدب فى القوم أخفى من دبيب الفناء فى الأعضاء

أو دبيب الملال فى مستهاين إلى غاية من البغضاء

أو مسير القضاء فى ظلم الغيب إلى من يريده بالتواء

تقتل الشاه حيث شئت من الرقعة طبا بالقتلة النكراء

غير ما ناظر بعينيك فى الدست ولا مقبل على الرسلاء

بل تراها وأنت مستدبر الظهر بقلب مصور من ذكاء

ما رأينا سواك قرنا يولى وهو يردى فوارس الهيجاء

رب قوم رأوك ريعوا فقالوا هل تكون العيون فى الأقفاء

تقرأ الدست ظاهرا فتؤديه جميعا كأحفظ القراء

---

(١) رسائل الجاحظ ص٧٣ .

(٢) الديوان ص٣٧ وما بعدها .

ومع الثقافة الفارسية والهندية تأتى الثقافة اليونانية التى لها أثر بالغ فى اللغة العربية والأدب العربى فهناك ألفاظ يونانية مثل « البرجد » ، « الزمرد » ، « الياقوت » ، « القيراط » ، « الأوقية » ، « البلغم » ، « البرقوق » ، « اللوبيا » ، « الترمس » .

كذلك نقلت إلى العربية قصص وأسماء يونانية [1] ، كما ترجمت حكم نسبت لفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو ، وملئت بها كتب الأدب فى ذلك العصر . وكان لكتب اليونان المترجمة فى المنطق والفلسفة آثارها فى تهذيب أفكار الأدباء وغزارة معانيهم وصقل إنتاجهم وخصوبة أخيلتهم وتغيير نظرتهم إلى الأمور والأشياء وميلهم إلى الاستقصاء والتتبع وبراعة التحليل وكثرة الاستطراد ودخول كثير من المصطلحات المنطقية والفلسفية وشيوعها فى الأدب شعرا ونثرا .

وقد عرفت اليونان الشعر المسرحى والشعر الملحمى وكان لها من النوعين آثار رائعة غير أن العرب لم يتأثروا بهذه الآداب اليونانية وخاصة بهذه النماذج الرائدة من الشعر المسرحى وشعر الملاحم والأساطير . ويرجع ذلك فى رأى بعض الباحثين إلى أن الذوق العربى لم يستسغ هذه الآداب نظرا لارتباطها بالعديد من أسماء الآلهة اليونانية وما تمتزج بها من أساطير ووثنية ، ومرد الفن والأدب إلى الذوق والذوق يختلف أما العلم والفلسفة فمردهما إلى العقل ، والعقل عالمى يشترك الناس كلهم فى قضاياه ونتائجه ، ولذا كان تأثر العرب بمنطق اليونان وفلسفتها تأثرا بالغا وعظيما .[2]

---

(١) الفهرست ص٣٠٥ : ٣٠٦ ، الحيوان جـ١ ص١٤٠ .

(٢) وراجع ترجمة الثقافات الأجنبية إلى العربية فى العصر العباسى الأول فى ضحى الاسلام لأحمد أمين ، الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين لخفاجى وحسن جاد والمسلوت والأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى لمحمود مصطفى وفى كثير من كتب الأدب وتاريخه .

وبعض الباحثين يرى أن اعتزاز العرب بثقافاتهم وآدابهم جعلهم لا يتأثرون بهذه الآداب اليونانية ولا يعيرونها اهتماما .[١]

وقد يدفع الرأى الأول أن الأدب الجاهلى سجل بكل ما فيه من وثنية وشرك وجهالة وظفر بالاهتمام البالغ فى احتذائه والالتزام بمنهجه وأسلوبه . وقد يدفع الرأى الثانى أن العرب تأثروا كثيرا بالأدب الفارسى فأين يا ترى قد ذهب اعتزازهم بآدابهم العربية حينذاك ؟

وأرى أن الروح الغنائى مسيطر على الذوق العربى فالشاعر العربى يعبر عن إحساسه وشعوره هو ، ويصور انفعالاته فى مواقفه المختلفة وليس عنده من الدوافع ما يجعله يتمثل أشخاصا ويجرى على ألسنتهم حوارا يتبادلونه فيما بينهم . كذلك فإن الموضوعية فى الشعر المسرحى والشعر الملحمى لم تفهم جيدا ، ولذا فقد اختلط الأمر عليهم والتبس ، وحاولوا أن يقيسوا الشعر المسرحى والملحمى بمقاييس الشعر الغنائى الذى يتسم بالذاتية البحتة . ومن هنا فقد حدث خلط كبير عند ترجمة كتاب الشعر لأرسطو ولم يفهموا معنى المأساة والملهاة فترجموا المأساة بالمديح والمهزلة بالهجاء .[٢] ومن المعلوم أن أرسطو لا يعتد إلا بالشعر الموضوعى الذى يعالج أفعالا عامة ولا يقيم وزنا للشعر الغنائى لأنه أثر للوعى الفردى .[٣] كذلك لم يتهيأ للأدب اليونانى عنصر التشجيع الكافى الذى تهيأ للآداب الفارسية حيث كان للنفوذ الفارسى دور كبير فى ترجمة آداب الفرس وتذوقها والإقبال عليها والاستمتاع بها .

---

(١) التوجيه الأدبى .. طه حسين ، أحمد أمين وزملائهما .. ص٢٠٧ .
(٢) المدخل إلى النقد الأدبى الحديث لغنيمى هلال ص١٧٤ .
(٣) المدخل ص٦٣ ، ص٦٤ .

وعلى أى حال فقد كان للمنطق اليونانى تأثير فعال على العقول وأساليب المتكلمين ومناهج المؤلفين فى العصر العباسى وقد تجلى ذلك بوضوح فى مجادلات علماء الكلام ومحاورات أصحاب المذاهب والفرق وتقسيمات المؤلفين ومناهجهم فى علوم الفقه والنحو واللغة والتمكن من قواعد التدليل والقياس والتفريع والترتيب والتبويب . ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقرر أنه قد تهيأ للمعارف اليونانية من التأثير ما لم يتهيأ مثله للأدب اليونانى .

وجملة القول فى تأثير التيارات الأجنبية فى الشعر العباسى أنها قد تركت أثرها فى أغراض الشعر وموضوعاته ومن سمات ذلك نزعة الفحش والمجون المتمثلة فى الغزل الصريح والغزل بالمذكر والافتتان بالخمر ومجالسها وما يصاحبها من عبث ولهو ، والهجاء الفاحش المسف والتصوير الهزلى . كذلك النزعة التأملية فى مظاهر الطبيعة والتعمق فيها والامتزاج بها والارتباط بالكون وأسرار الحياة ومن تلك السمات أيضا الدالة على تأثر الشعر العربى بالتيارات الأجنبية تلك النزعة الزاهدة المتصوفة التى ظهرت بوضوح فى العصر العباسى كغرض جديد فى الشعر العربى . كذلك كان للتيارات الأجنبية أثرها فى الشكل والصياغة من ذلك الميل إلى السهولة واليسر فى استخدام بعض الألفاظ والأساليب والعناية بالمحسنات البديعية والزخارف اللفظية والميل إلى الصياغة الفلسفية واستعمال الأقيسة المنطقية وأسلوب الحوار العقلى لدى بعض الشعراء والتعبير عن كثير من المعانى الفلسفية ومصطلحاتها فى صياغة شعرية طريفة كذلك الاعتماد على عنصر التجسيم والتشخيص كوسيلة من وسائل الصياغة الفنية والتعبير المثير .[1]

(١) التيارات الأجنبية فى الشعر العباسى لعثمان موافى ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة بمكتبة آداب الإسكندرية .. ص٢٩٥ ، ٢٩٦ ، والأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين .

ولم يقف الأمر فى هذا العصر عند حدود الثقافات الأجنبية بل كانت هناك الثقافة العربية الخالصة المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وتاريخ العرب وأيامهم وآدابهم وما أثر عنهم وما ارتبط بالتاريخ الإسلامى من وقائع وصيغ وأحداث وما أثاره التشريع الإسلامى من بحوث وما ابتكرته العقول العربية وأبدعته من دراسات وما أنتجته من مؤلفات فى شتى أنواع العلوم والمعارف والفنون – وبذلك كله ازدهر الأدب العربى واكتسب عمقا وغزارة وخصوبة وحيوية وتنوعت فنونه وأغراضه وموضوعاته وأساليبه واتسمت الأفكار بالدقة وبراعة العرض والترتيب وحسن الانتقال والتمرس بالأساليب الفلسفية والخبرة بوجوه البلاغة والفصاحة وفنون القول .

نعم لقد ازدهر الشعر العربى فى أغراضه وموضوعاته ، فى ألفاظه وأساليبه ، فى صوره وأخيلته ، فى أوزانه وقوافيه ، فى مذاهبه ومناهجه ...

كما ازدهر النثر العربى فى فنونه المختلفة من نثر علمى ونثر أدبى وخطابة ورسائل وقصص ومقامات وتوقيعات .

وفى هذا العصر تألق كثير من الشعراء ونبغ العديد من أئمة الأدب والنقد والبلاغة والبيان وأساليب الكلام .

وقد اتجهت العناية إلى جمع الأشعار وحفظ دواوين الشعراء وتأليف الكتب فى طبقاتهم ومن ذلك المفضليات وحماسة أبى تمام وحماسة البحترى .

ولا يسع الباحث فى هذا المجال أن يغفل عن أثر الفن المعمارى وتطور العمارة الإسلامية وفنون النقش والزخارف فى الميدان الأدبى بفضل ما تتيحه هذه الفنون من ارتقاء بالذوق وسمو بالمشاعر وإحساس بالجمال ، ومن غير شك

فإن الإحساس بالجمال عامل فعال فى روعة التعبير عن هذا الجمال وعن كل ما يدخل فى نطاق الشعور والإحساس ولاريب أن تكون لهذه الفنون آثارها فى تجميل الحياة وأن تنسحب هذه الآثار على مجالات التعبير الأدبى فتضفى عليها من الروعة والجمال ما يحقق لها الأصالة والخلود .

كما كان لهذه الفنون أثرها فى ازدهار الوصف وخصوبته وروعة الخيال ودقته وجمال الأسلوب ورقته وعذوبة الموسيقا وحسن وقعها وجودة الصنعة وإتقانها والاعتماد على الزخارف اللفظية وألوان البديع تحقيقا للتأنق ونشدانا للجمال .

ومن الطرائف التى ينبغى أن تذكر فى مجال ازدهار فن النقش والزخرفة والوشى والتطريز أنه شاع فى هذا العصر كتابة أبيات من الشعر الخفيف والأقوال الجميلة مطرزة على القمصان والعصائب ومشاد الطرر والذوائب وعلى الزنانير والمناديل والوسائد والأسرة وعلى الخفاف والنعال أو بالنقش على الخد والجبين والقدم وعلى الحلى المستعملة للزينة وسائر الآلات والأدوات .[1] وغير ذلك مما يذكرنا ببدع الغرب المستحدثة فى الثياب والأزياء العجيبة وما هو بمستحدث ولا بجديد .

وعلى أية حال فإن لهذا دلالته على طبيعة الحياة الجميلة التى كانوا يحيونها والذوق السائد الذى كان يسيطر على جماهير الناس وتذوق الشعر والأدب الذى كان معيارا للحياة الراقية فى نظر الجميع .

---

(١) الموشى للوشاء ص١٦٧ ، ص١٦٩ ، ص١٧٦ ، ١٨٢ . ط ليدن .

نعم لقد كان الشعور بالجمال قويا فى العصر العباسى ولذا فقد تفنن الشعراء والكتاب وأبدعوا وأجادوا فى عرض معانيهم وأفكارهم وخواطرهم وخلجات نفوسهم وروائع أخيلتهم . لنستمع إلى قول على بن الجهم : (١)

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة ... وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة ... من الراح فيما بيننا لم تسرب

وقول أبى تمام فى وصف الربيع : (٢)

أضحت تصوغ بطونها لظهورها ... نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى ... فكأنها عين إليك تحدر
تبدو ويحجبها الجميم كأنها ... عذراء تبدو تارة وتخفر
حتى غدت وهداتها ونجادها ... فئتين فى خلع الربيع تبختر

وقول بشار فى امرأة : (٣)

وكأن رجع حديثها ... قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها ... هاروت ينفث فيه سحرا

وقول أبى نواس فى مجلس شراب يصف الأقداح : (٤)

تدار علينا الراح فى عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس

(١) محاضرات الأدباء جـ٢ ص٦٨ .
(٢) ديوان أبى تمام ص١٥٦ ط القاهرة .
(٣) أغانب دار الكتب جـ٣ ص١٥٥ .
(٤) ديوان أبى نواس ص٢٩٥ .

قـرارتهـا كـسـوى وفى جنبـاتهـا  مـهـا تدريهـا بالقـسى الفـوارس
فللخـمـر مـا زرت عليـه جـيـوبهـا  وللمـاء مـا دارت عليـه القـلانس

كما كان لازدهار فن الغناء وتطور الموسيقى والرقص أثر كبير فى الأدب عـمـومـا وفـى الشـعـر بخـاصـة بما شـاع فى مـجـالس الغناء من الروائع والنوادر والطرائف التى تعد بابا كبيرا من أبواب الأدب وبما تحقق للشعر من رقة وعذوبة وحسن انتقاء للكلمات والألفاظ والعبارات وبراعة تخير الأوزان والقوافى التى تنسجم فى إطار من النغم الحلو واللحن المعبر كـمـا كـان لتطور فنون الغناء والموسـيـقى والرقص أثر بالغ فى ازدهار فن الغـزل وبراعـة تناوله والتـفنن فى عرض الخواطر والمشاعر من خلاله كما كان لتطور هذه الفنون أثرها الواضح فى حركة التجديد المستمر فى الأوزان والقوافى إذ كان تأثير الغناء فى موسيقى الشعر أجل وأوسع وأشمل وأخذ الشعراء يجددون مع المغنين فى أوزانهم ودارت الأوزان مع الألحان وكانت قوانين الموسيقى مماثلة لقوانين العروض .[1] ونتيجة لذلك تخلى الشعراء عن الأوزان الطويلة فى المقطوعات والقصائد الغنائية ومالوا إلى الأوزان القصيرة الطيعة كما عالجوا البحور الطويلة بأنماط من التشطير والتجزئ تتلاءم مع متطلبات النغم والإيقاع بل إنهم جددوا واستحدثوا أوزانا جديدة لم تكن معروفة لدى السابقين تمشيا مع موسيقى اللحن والغناء فقد عرف عن أبى العتاهية بأن له أشعارا لا تدخل فى العروض وأنه .. ربما قال شعرا موزونا يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب ..[2] وكان يخرج على قواعد الخليل ويقول : « أنا أكبر من العروض »[3] ولعل الخروج على العروض وقواعده وعلى الأوزان التى

(١) إخوان الصفا جـ١ ص١٤٤ ط مصر .
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٤٩٧ .
(٣) أغانى دار الكتب جـ٣ ص٢٥٤ .

استنبطها الخليل بن أحمد كان اتجاها سائدا عبر عنه الجاحظ بقوله : [1] « العروض علم مردود ، ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول يستكد العقول بمستفعل ومفعول من غير فائدة ولا محصول » ولذا ابتكر المولدون أوزانا سموها « الأوزان المولدة » وهى عكس أوزان الخليل كما ابتكروا أوزانا جديدة سموها الفنون السبعة فالأوزان المولدة هى : بحر المستطيل والممتد والمتوافر والمتئد والمنسرد والمطرد . والفنون السبعة هى : السلسلة والدوبيت والقوما والموشح والزجل وكان وكان والمواليا .[2]

وكما كان هناك تجديد فى الأوزان كان هناك أيضا تجديد فى القوافى فقد ظهر فى الشعر ما يسمى بالمزدوج والمسمط : فالمزدوج يتألف من شطرين على قافية ثم من شطرين آخرين وهو يشيع فى الشعر التعليمى ، وأما المسمط فإنه يبتدئ ببيت مصرع ثم تليه أربعة أقسمة أخرى على غير قافية ويستمر هكذا على هذا النمط .[3]

لقد أقبل الشعراء العباسيون على القوافى يحكمونها ويبدعون فيها ويهيئون لها من الأشكال ما يرتفع بموسيقى الشعر إلى درجة بالغة من الروعة والجمال ، ومن أجل ذلك استحدثت ألوان البديع الصوتية التى ترتبط بقوافى الشعر والتى يتبارى فيها الشعراء وقطعوا شوطا بعيد المدى سعيا إليها .[4] وذلك كله يرجع أصلا إلى التأثر البالغ بفنون الغناء والموسيقى والرقص إذ الرقص فى حقيقته نوع من الأوزان ذات التفاعيل أو التقاسيم أو هو موسيقا صامتة غير أننا نجد تفاعيله

---

(١) أدب الجاحظ للسندوبى ص١١٤ .
(٢) البناء الفنى للقصيدة العربية لخفاجى ص١٠١، ١٠٢ .
(٣) البناء الفنى للقصيدة ص٨٠ وما بعدها .
(٤) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص٧٨ .

وأسبابه وأوتاده حركات بسيطة أو مركبة يقوم بها جملة أعضاء فى لحظة واحدة أو لحظات متوالية ، .[1]

ولا ريب أن ازدهار فنون الغناء والموسيقى كان له أثره فى حسن اختيار الأوزان والقوافى الملائمة للأغراض والموضوعات إذ أن لكل عاطفة أو معنى نغمة خاصة هى به أليق وعلى تصويره أقدر وليست الأسماء التى وضعها الخليل للأوزان الشعرية إلا دلالات على معان تميز كل وزن عن غيره وهذا الامتياز يظهر فى طول البحور وقصرها وفى حركاتها المتتابعة وأنغامها العامة .[2] وقوافى الشعر كبحوره يجود بعضها فى موضع ويفضله غيره فى موضع آخر ولكل قافية وقعها وتأثيرها والمرجع فى اختيار القوافى إلى سلامة الذوق وغزارة المادة ، والشعر كأنغام موسيقية والقافية قراره فحيثما جاد النغم وتناسق إلى منتهاه حسن وقعه فى الأذن وانشرح له الصدر وطربت له النفس .[3]

وبعد فقد تألقت فى سماء العصر العباسى وعلى امتداده أسماء أعلام من العلماء والمفكرين والأدباء والشعراء والعباقرة النابغين فى كل فرع من فروع العلم والمعرفة وشائر الآداب والفنون ، وبحق كان هؤلاء الأعلام معالم وضاءة على طريق الحضارة والتقدم والتطور الفكرى والنهضة العلمية والازدهار الأدبى والفنى ونذكر على سبيل المثال :

## فى علم القراءات :

هارون بن موسى البصرى بين ١٧٠ – ١٨٠هـ يحيى بن الحارث الذمارى

---

(١) أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب ص٣١٩ ط مكتبة النهضة .
(٢) أصول النقد الأدبى ص٣٢٢ .
(٣) مقدمة ترجمة الأليادة للبستانى ص٩٥ .

١٤٥هـ حمزة بن حبيب الزيات ١٥٦هـ أبو عبد الرحمن المقرئ ٢١٣هـ خلف بن هشام البزار ٢٢٩هـ .

فى التفسير :

من الجامعين للتفسير سفيان بن عيينة ١٩٨هـ وكيع بن الجراح ١٩٦هـ شعبة بن الحجاج ١٦٠هـ اسحق بن راهويه ٢٣٨هـ .

ومن المفسرين : الفراء ٢٠٧ هـ السدى ١٢٧هـ مقاتل بن سليمان ١٥٠هـ وأبو بكر الأصم ٢٤٠ هـ ومحمد بن جرير الطبرى ٣١٠هـ .

وفى الحديث :

من الجامعين للحديث : ابن جريج ١٥٠هـ محمد بن إسحاق ١٥١هـ معمر ١٥٣هـ سعيد بن أبى عروبة ١٥٦هـ الأوزاعى ١٥٦هـ الربيع بن صبيح ١٦٠هـ سفيان الثورى ١٦١هـ حماد بن سلمة ١٧٦هـ مالك بن أنس ١٧٩هـ ابن المبارك ١٨١هـ أحمد بن حنبل ٢٤١هـ أبو داود ٢٧٥هـ الترمذى ٢٧٩هـ النسائى٣٠٣هـ .

فى الفقه والتشريع :

أبو حنيفة ١٥٠هـ مالك بن أنس ١٧٩هـ الشافعى ٢٠٤هـ ابن حنبل ٢٤١هـ أبو يوسف ١٨٢هـ الليث بن سعد ١٧٥هـ الكرابيسى ٢٤٥هـ الزعفرانى ٢٦٠هـ ، داود الظاهرى ٢٧٥هـ .

فى علم الكلام :

عمرو بن عبيد ١٤٤هـ بشر بن المعتمر ٢١٠هـ وثمامة بن أشرس ٢٢١هـ

والنظام ٢٣٥هـ ابن أبى ذؤاد ٢٤٠هـ العلاف البصرى ٢٣٥هـ يحيى بت أكثم ٢٤٢هـ ابن الراوندى ٢٤٥هـ الجاحظ ٢٥٥هـ أبو على الجبائى ٣٠٣ هـ وأبو الحسن الأشعرى ٣٣٣هـ .

ومن المؤرخين :

هشام بن محمد الكلبى ٢٠٤هـ وابن اسحق ١٥١هـ وابن هشام ٢١٨هـ ، ومحمد بن سعد ٢٣٠هـ .

وفى علوم اللغة والنحو والأدب والنقد :

أبو عمرو بن العلاء ١٥٤هـ الأخفش الأكبر ١٥٧هـ الخليل بن أحمد ١٧٥هـ وابن المقنع ١٤٢هـ الرؤآسى ١٨٧هـ معاذ الهراء ١٨٧هـ الكسائى١٨٩هـ الفراء ٢٠٧هـ يونس بن حبيب ١٨٢هـ سيبويه ١٨٨هـ اليزيدى ٢٠٢هـ الأخفش الأوسط ٢٠٢هـ قطرب ٢٠٢هـ الجرمى ٢٢٥هـ أبو عبيدة ٢٠٦هـ ابن سلام ٢٣١هـ التوزى ٢٣٨هـ المازنى ٢٤٩هـ السجستانى ٢٥٥هـ الجاحظ ٢٥٥هـ الرياشى ٢٥٧هـ أبو سعيد السكرى ٢٧٥هـ ابن أبى الدنيا ٢٨١هـ ابن طيفور ٢٨٠هـ المبرد ٢٨٥هـ ابن المعتز ٢٩٦هـ ثعلب ٢٩١هـ أبو العميثل ٢٤٠هـ عمر بن شبة ٢٦٢هـ أبو العباس اليزيدى ٢٧٨هـ أبو حنيفة الدينورى ٢٨٢هـ الزجاجى البغدادى النحوى ٣٠٧هـ الزجاج ٣١١هـ ابن السراج ٣١٦هـ ابن دريد ٣٢١هـ جحظة ٣٢٦هـ .. ثم المرزبانى ٣٨٤هـ الحاتمى ٣٨٨هـ الباقلانى ٤٠٢هـ أبو إسحاق الحصرى ٤٥٣هـ ابن رشيق ٤٦٣هـ ابن سنان الخفاجى ٤٦٦هـ عبد القاهر الجرجانى ٤٧١هـ .

ومن الشعراء :

بشار بن برد ١٦٧هـ أبو نواس ١٩٩هـ وأبو العتاهية ٢١١هـ مسلم بن الوليد

٢٠٨هـ سلم الخاسر ١٨٦هـ العتابى ٢٠٨هـ ومنصور النمرى وأبو الشيص ١٩٦هـ أبو تمام ٢٣١هـ ديك الجن ٢٣٥هـ عبد الصمد بن المعذل ٢٤٠هـ أبو العميثل ٢٤٠هـ دعبل ٢٤٦هـ الحسين بن الضحاك ٢٥٠هـ على بن الجهم ٢٤٩هـ ابن الرومى ٢٨٣هـ البحترى ٢٨٤هـ ابن المعتز ٢٩٦هـ البسامى ٣٠٢هـ .

## ومن المشتغلين بالغناء والموسيقى :

إسحاق الموصلى ، ومخارق ، وعلويه ، وعريب ، وبذل وسليم بن سلام ، ومحمد بن الرف ، وزبير بن دحمان ، وأحمد بن يحيى ، ومحمد بن حمزة ، وإبراهيم بن المهدى ، وإسماعيل بن جامع ، وفليح بن العوراء ، ويحيى الملكى ، وعمرو بن نابه ، وشارية ، ونزيق ، وبنو حمدون ، وحسين بن محرز وغيرهم .

(١) انظر : ضحى الإسلام لأحمد أمين - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان - الحياة الأدبية فى العصر العباسى لخفاجى - الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى لمحمود مصطفى .